

بَكِيرُ بْنُ سَعِيدٍ أَعُوْشَتْ

أَضْوَاءُ عَلَى
الْأَخْلَاقِ، الْإِسْلَامِيَّةِ
و
الْمُعَاَصِرَةِ

843



بَكَيْرُ بْنُ سَعِيدٍ أَعْمُوشَت

أَضْوَاءُ عَلَى
الْأَخْلَاقِ، الْإِسْلَامِيَّةِ
وَالْمُعَاصِرَةِ

الطبعة الاولى

1405 هـ - 1984 م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الايداع القانوني

39489

1984

و. قسطنطينة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبو الأعلى المودودي

بسم الله الرحمن الرحيم

« وانك لعل خلق عظيم » سورة القلم : 4 .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم لنسائهم » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .



أول عمل يأتى به الاسلام أنه يزود الاخلاق الانسانية بمركز صحيح وقطب مستقيم اذا اقترنت به حولها الى الخير والرشد برمتها .

أبو الاعلى المودودى

المدخل العام الى البحث

ان هذا البحث المتواضع يهتم بدراسة وتحليل ونقد الاسس الاخلاقية ، عند المذاهب المعاصرة الاساسية الماركسية والرأسمالية والوجودية السارتريّة ، من وجهة الفكر الاسلامي الاصيل ، مع بيان أسسها الفكرية ، ونقدها .

فنعني عن البيان أن الاسلام كان وما يزال هو المقياس الصحيح والوحيد لجميع المذاهب الاخلاقية التي ظهرت عبر تاريخ الحضارة الانسانية ، مهما تعددت مصادرها وتياراتها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه المذاهب الاخلاقية ، لم تجد الجواب الحاسم لمشكلات الوجود ، والقيم الاخلاقية التي ينشدها الانسان في كل زمان ومكان كالحرية ، والعدالة ، والحق ... الخ .

لقد أكدت وأثبتت الايديولوجيات المعاصرة سواء كانت شرقية أو غربية فشلها الذريع ازاء المشكلة الاخلاقية التي شغلت بال القادة والعلماء ، حيث قاموا بدراستها دراسة وافية ، فبينوا طبيعتها النظرية والعملية ، وطبقوها في

مؤسساتهم التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكن التجارب اليومية التي عززتها الاحصائيات أثبتت أن حضارتنا الحالية تعيش فى حالة الانتحار نتيجة الازدواجية فى مظاهر الحياة العامة ، بين الفرد والمجتمع وبين العلم والاخلاق وبين التيارات اليمينية واليسارية وبين الماضى والحاضر والمستقبل وبين العالم النامى والعالم المتقدم ... الخ (I) .

وانطلاقا من هذا فان الانسانية لن تبلغ سعادتها التى تنشدها الا بالرجوع الى القيم الاسلامية الثابتة الهادفة الى تطهير الطبيعة البشرية من أدرانها الدفينة ، والالتزام بأخلاق القرآن التى تتميز بفضيلة الاعتدال .

والواقع أن الاخلاقيات الاسلامية قد عالجت جميع القضايا التى يطرحها الانسان اليوم سواء كانت عقائدية أو نفسية أو سياسية أو اقتصادية ... الخ .

ثم ان هذه الاخلاق قد تناولت طبيعة النفس البشرية بنظرتها الشمولية الواضحة التى تعترف بالواقعية الانسانية - كما هى - فهى تعترف بالروح والجسد والخير والشر . والارادة والاهواء ، ولنستمع فى ذلك الى قوله تعالى : « ونفس وما سواها ، فآلهما فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » (سورة الشمس : 7 - 16) .

(1) انظر : فيس هادى أحمد - الانسان المعاصر عند هربرت ماركيز .

ثم ان الاسلام لم يغفل مطالب النفس البشرية فى هذه الحياة ، فهو يؤكد ويقرر التلاحم الضرورى بين حياة الدنيا والآخرة ، والله عز وجل يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » (سورة القصص : 77) .

أما بالمقابل فان المذاهب الاخلاقية تقوم معاييرها الاخلاقية على أسس انشطارية ، وبالتالي قد شطت فى أحكامها فى حق سلوك الفرد وسلوك المجتمع على السواء ، وخلقت ازدواجية حادة فى مثلها الاخلاقية ، وانعكست هذه الحالة فى الفكر الاسلامى المعاصر بنتيجة احتكاكنا بالثقافة المعاصرة وأدواتها الهادفة الى اذابة الشخصية الاسلامية ، لذلك لا نتعجب اذا وجدنا أن أغلبية طلابنا يجهلون فلسفة الاخلاق الاسلامية ، ومقارنتها بالمذاهب الاخلاقية التى تدرس فى المؤسسات التربوية .

ومما زاد للطين بلة ، أن كتابنا لا يزالون يعتمدون على قاعدة الاخذ والنقل من المصادر الاوروبية دون أن تكون هناك روح نقدية ، تميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ .

فهكذا شعرنا بالالَم الذى قد حز فى قلبنا ، فزاد التوتر أشده ، حين نرى أن كتابنا يسلمون بالاخلاق الاوروبية

تسليماً كاملاً ، فإن دراساتهم هذه لم تحرر من قيود الفكر الالتقاطي المنعكس للثقافات الاجنبية .

ولعل من المناسب أن نبين أن هؤلاء لم يقوموا بتوضيح وتوظيف الفلسفة الاخلاقية الاسلامية ، فى مؤسساتنا الثقافية . بل ان بعض هؤلاء اقتصرت دراساتهم على المصادر الاوروبية ، بدعوى أن الثقافة الاخلاقية يجب أن تعتمد على العقل الانسانى الخالص وتجاربه الحضارية — يقول الاستاذ عبد الفتاح الديدى فى هذا المجال : « اننا نحن هنا فى مصر قد سعدنا منذ زمن بظهور محاولات جريئة فى ميادين المعرفة كافة ، وشهدنا مذاهب الوجودية والوضعية والظاهرية وهى تنمو على أقلام كتابنا وتجد المتحمسين لها فى الاوساط الجامعية وغيرها .

والواقع أن علماءنا أصبحوا من كبار المشايخين لهذه المذاهب وصاروا يمثلونها تمثيلاً صادقاً حتى وجدت أبحاثهم مجالها الفسيح بالمجلات والدوريات الاجنبية » (2) .

الواقع أن هذه الفقرة تمثل لنا التيار الاستلابى الذى يدعو صراحة الى خدمة الفكر الغربى بدلا من خدمة الفكر الاسلامى الغنى بمصادره الثمينة ؛ القرآن الكريم والسنة الشريفة والاجتهاد ، فالفكر الاسلامى يجب ان يدرس بصبر ودقة لاثرائه وأن يحل محل الثقافة الغربية ، وأن مناصرة

(2) عبد الفتاح الديدى ، الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة ، ص 371 .

ومؤازرة الفكر الاغترابي يعد خيانة علمية بالدرجة الاولى،
وتجاهلا صريحا بالامانة العلمية التى تتطلب طاقة أخلاقية
كثيرة وقدرة على التجرد من الذاتية والالتزام بخصائص
الروح العلمية .

انطلاقا من هذه الامانة العلمية ، أخذنا على عاتقنا نقد
الاسس الفكرية للمدارس الاخلاقية المعاصرة التى لها أثر
فعال ومباشر فى مسيرة حضارة عصرنا هذا .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن دراستنا اعتمدت على المصادر
المباشرة لتكون الرؤية واضحة ليس فيها لبس ولا غموض ،
فهذه المصادر المباشرة تعد الحجة القاطعة لاثبات الفكرة
أو نفيها . وبهذا أرجو أن أكون قد قدمت خدمة متواضعة
الى الفكر الاسلامى الاصيل وبينت الطريق المستقيم لكل
شاب مسلم ، يسعى أن يحقق حياة اسلامية أصيلة قائمة على
الاخلاق القرآنية ، والله ولى التوفيق .

في علم الأخلاق : علم الأخلاق :

علم موضوع علم الأخلاق :

الفصل الاول

الأخلاق الإسلامية ،

مصادرها وأسسها

أ - المدخل الى علم الاخلاق :

1 - موضوع علم الاخلاق :

ان علم الاخلاق يعد من المواضيع الفلسفية التى أثرت حوله مناقشات فى موضوعه ، ومنهجه ، بين النزعات العقلانية ، والتجريبية ، والذاتية والاجتماعية بنتيجة تباين الثقافات الانسانية التى أثرت فيه .

وأيا كان الامر ، فان علماء الاخلاق ، يرون أن الانسان حيوان أخلاقى ، والغاية من وجوده ليس المحافظة على حياته البيولوجية واشباع غرائزه الفطرية الاولى فقط ، لانه يتميز بالدرجة الاولى بالثنائية التى تؤكد على الجانب العقلى والغرائزى ، ومن خلال هذه الثنائية جعلته بالضرورة كائنا أخلاقيا فى صراع بين واجباته العقلية ودوافعه الحيوانية .

ومن هذه الحقيقة النفسية ، نستطيع اذن أن نحدد موضوع علم الاخلاق تحديدا مبدئيا فنقول : ان علم الاخلاق هو

العلم الذى يتناول أفعال الانسان كما يجب أن تكون بحيث تتلاءم مع الخير الاعظم لتحقيق السعادة التى هى غاية الانسان . على أنه يجب أن نذكر هنا ، أن علم الاخلاق يعد جزءا من العلوم المعيارية . وفى ضوء هذا تجدر الملاحظة أن العلماء قسموا العلوم الى قسمين :

أ - علوم تقريرية ، مؤلفة من الوقائع المادية التى تعبر عما هو كائن كالعلوم الطبيعية التى تدرس المادة الجامدة أو المادة الحية ، فهذه العلوم قائمة على الاستقراء التجريبي للوصول الى القانون العام ، كعلم الفيزياء والكيمياء .

ب - علوم معيارية هى التى تدرس القيم الاخلاقية والجمالية والمنطقية ، وتهدف الى جعلها معيارا أو مثلا أعلى التى ينبغى أن يكون عليه الشئ ، ثم يصدر الانسان عليها حكما بالسلب أو الايجاب على حسب المثل الاعلى التى ينطلق منها ويدافع عنها . كفضيلة الحكمة والشجاعة ، والعفة والعدل بالنسبة الى علم الاخلاق .

2 - مدلول الاخلاق لغة واصطلاحا :

أ - الاخلاق لغة :

الاخلاق فى اللغة يقصد بها السجية ، والطبع ، والعادة والمروءة - والدين - ولقد جاء فى لسان العرب لابن منظور ما يلى : الخلق - بضم اللام وسكونها - وهو الدين والطبع والسجية وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهى نفسه

وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته
الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة
والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر
مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة » (I) .

ب - الاخلاق اصطلاحا :

ولقد انتقل هذا المدلول اللغوى الى الاصطلاح العلمى .
فأسمى هذا المصطلح يقصد به العلم الذى يبحث فيما ينبغى
أن يكون عليه سلوك الانسان ، ومدى ارتباطه بقيمة الخير
الاعظم . أو هو العلم الذى يبحث فى القيم العليا التى يسعى
الانسان الى الحصول عليها .

أما اذا رجعنا الى المصادر الاسلامية فاننا نجد أن هناك
عدة فلاسنة قد عرفوا هذا العلم بقولهم .

يقول التهاوتى : « علم الاخلاق هو علم السلوك وقد سبق
فى المقدمة وهو من أنواع الحكمة العملية ويسمى تهذيب
الاخلاق » (2) .

أما بالنسبة الى يحيى هويدى فهو يعرفه بما يلى : « انه
العلم الذى يتناول دراسة أفعال الناس بالقياس الى مثل أعلى
حتى يتسنى له وضع قواعد عامة لسلوكهم وتصرفاتهم تعينهم
على فعل الخير والابتعاد عن الشر » (3) .

(1) لسان العرب لابن المنصور المتوفى سنة 711 هـ ، الجزء 11 ، ص 374 .

(2) اصطلاحات العلوم الاسلامية ، الجزء الثانى ، ص 448 .

(3) يحيى هويدى ، مقدمة فى الفلسفة العامة ، ص 244 .

3 - الغاية من دراسة علم الاخلاق :

فى ضوء كل ما تقدم تعريفه ، نستطيع أن نقول : ان علم الاخلاق لا يقتصر بحثه فى المجال النظرى كما يبدو للبعض ، فهو مرتبط بالجانب العملى كذلك ، فهو يهدف الى تحقيق الخير الاعظم لانفسنا ، وأمتنا والانسانية جمعاء .

اذن ان الغاية القصوى التى تسعى اليها فلسفة الاخلاق هى تغيير وتهذيب سلوك الانسانية من أدرانها الفاسدة حتى تشعر بالسعادة الخلقية التى هى غاية الانسان ، وان كل الاشياء الاخرى ما هى الا وسيلة تؤدى اليها لانها غاية فى حد ذاتها .

مما لا شك فيه أن حضارتنا اليوم أصبحت تعاني انشطارا واستلابا بين القيم الاخلاقية والتقنية المادية .

وحسبنا أن نشير هنا فى هذا المقام الى أن الاضطرابات الموجودة فى الوقت الراهن بين الافراد وبين الدول ، تعد نتيجة حتمية ، لعدم وجود وعي أخلاقى .

وفى ضوء هذا ، يظهر الدور الايجابى الذى يجب أن تلعبه القيم الاخلاقية لتحقيق السعادة القصوى التى يحلم بها الانسان فى علاقة سلوكه سواء كانت هذه العلاقة على مستوى الفرد أو الامة أو المجتمع العالمى لتوجيه وترشيد سلوك البشرية .

ومن هنا نقول : ان بناء الحضارة المتطورة والمتمثلة في البقاء والاستمرار لهي في حاجة الى العلم والاخلاق ، ولا يمكن الفصل بينهما بأى حال من الاحوال . بهذا تستطيع الانسانية أن توطد حضارتها والا أصبحت عرضة للانتحار بيد الانسان المعاصر الذى ابتعد عن المنهج الالهى الذى يوضحه القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ب - الاخلاق فى القرآن والسنة :

1 - أخلاق القرآن الكريم :

لقد أجمع المسلمون كافة على أن القرآن الكريم هو الاصل الاول والرئيسى لاحكام التشريع الاسلامى .

والقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على محمد رسول الله - ص - ، المكتوب فى المصاحف ، والمنقول اليها نقلاً متواتراً والمتعبد بتلاوته .

يقول صبحى الصالح فى كتابه « مباحث فى علوم القرآن » :
والقرآن - بأى اسم سميته - هو الكلام المعجز المنزل على النبى - ص - المكتوب فى المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته . وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية « (4) .

وتجدر الاشارة هنا الى أن القرآن الكريم قد أنزله الله بلسان عربى مبين وفى ذلك يقول الله عز وجل : « ولقد

(4) راجع نفس المصدر ، ص 21 .

ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ،
قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون » (الزمر : 27 - 28) .

ومن هذا المنطلق القرآنى الكريم ، لن يستطيع الباحث
المسلم ، مهما ملك من القدرات الذهنية وبلاغتها أن يستغنى
عن أمهات الاخلاق وأصولها الموجودة فى القرآن الكريم
والسنة الشريفة .

فاذا كان القرآن الكريم ، كتاب عقائد وعبادات ومعاملات ،
وتشريع ، فانه يحتوى كذلك على أمهات الاخلاق وأصولها
كفضيلة العدل ، والعفة ، والوسط ، والحكمة ... الخ .

ومهما كان الامر ، فان القرآن الكريم لا يزال هو المشعل
الوحيد والهادى للبشرية نحو السعادة التى ينشدها الانسان ،
ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة فى قوله تعالى :
« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (الاسراء : 9) .

وفى آية أخرى يقول الله عز وجل : « فالذين آمنوا به
وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم
المفلحون » (الاعراف : 157) .

وهكذا نلاحظ أن الآيات القرآنية تؤكد أن الفلاح الخلقى
لا يتم الا بالايمان والالتزام الكامل بالقرآن الكريم ، قولا
وعملا . وعدم الفصل بينهما .

2 - القرآن والارادة الخلقية :

وأيا كان الامر ، فان الاخلاق الاسلامية ، تذكر الانسان بالخير الذى فطر على حبه ، وبالشر الذى جبل على كرهه . فهي تدعو الى التجرد من الاهواء ومقاومتها ، لان الطبيعة البشرية تتحكمها الاهواء .

ولنستمع فى ذلك الى قول الله عز وجل : « وما أبرئ نفسي ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم » (يوسف : 53) .

ولكن هذه النفس البشرية التى ذكرها القرآن ، قد ارتبطت دوما بالارادة الخيرة المتمثلة فى تهذيب دوافعنا الشريرة ، ولم يترك الله عز وجل هذه النفس البشرية بلا ضابط ولا معيار ، فقد أشار القرآن المجيد الى هذه الحقيقة النفسية فى قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » (النازعات : 40) . وقال فى آية أخرى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين » (القصص : 56) .

وهكذا يظهر جليا ، أن الارادة الاخلاقية الخيرة لا تكون الا فى التحكم فى دوافعنا الفطرية ، والتمييز بين الخير والشر . وغنى عن البيان ، فان الاخلاق القرآنية وجهت دوافع الانسان توجيهها نحو الخير الاعلى انطلاقا من الشعور

الخلقى القائم على طهارة القلب الذى يميز بين الحق والباطل
كما رأينا .

وفى ذلك يقول الله عز وجل عن القلب الذى يهتدى الى
الخير : « أن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد » (ق : 37) .

ويقول جل شأنه فى آية أخرى : الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (الرعد : 28)

أما بالنسبة الى الرسول الكريم فقد اهتم اهتماما كبيرا
بهذا الجانب الخطير الذى يوجه سلوكنا فيقول الرسول الكريم
فى هذا الشأن : « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »
رواه البخارى .

وعن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : « البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى
نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم .

ثم اذا أمعنا النظر فى الاخلاق القرآنية نستطيع أن نقول
ان القرآن الكريم قد خاطب العقل كذلك ، ولم يهمل هذا
الجانب فى الحياة الخلقية مع العلم أن العقل فى اللغة هو
الحجى والنهى ، وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة ، لأنه

يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقل
الناقة من الشرود (5) .

فهذه القوة العقلية فى الانسان هى التى تعقل تصرفات
الانسان وتميز الخير من الشر والحق من الباطل ... وفى هذا
يقول الله عز وجل : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم
أذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم
الغافلون » (الاعراف : 179) ، وفى آية أخرى يقول الله :
« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »
(الانفال : 22) .

3 - أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :

وعلى أى حال فان القرآن الكريم هو كتاب الايجاز
والاعجاز كما يقال - فليس من الطبيعى أن يحلل جميع
القضايا الاخلاقية بالمفهوم المدرسى مبينا وموضحا الجزئيات
التي تدرس فى المدارس .

فالاخلاق القرآنية قد جسدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى تصرفاته ، ولقد قال الله عز وجل فى حق رسول
الله واصفا شمائله الخلقية : « وانك لعلى خلق عظيم »
(القلم : 4) . وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « ولو كنت
فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران : 159) .

(5) جميل صليبا - المعجم الفلسفى - الجزء الثانى ، ص 84 .

وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (التوبة : 128) .

ويقول رسول الله - ص - : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » . ولقد وصف نفسه فى قوله الكريم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » . ولقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق الرسول - ص - فقالت : كان خلقه القرآن أى أن سيرته كانت مرتبطة ارتباطا شاملا بأخلاق القرآن الكريم قولاً وعملاً ، فهكذا ستكون أخلاق الاسلام قائمة على الوحي .

4 - الوحي مصدر الاخلاق الاسلامية :

ويحسن أن نذكر هنا ، أن الوحي الالهى يعد مصدراً من مصادر الاخلاق الاسلامية ، وحسبنا دليلاً على ذلك أن الاخلاق القرآنية هى سلوك وتصرفات الرسول لأنه وضع المثل العليا التى جسمتها مثالية الواقعية وقد روى أن النبى - ص - لما كسرت رباعيته ، وشج رأسه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه ، وقالوا : لو دعوت عليهم فقال : « انى لم أبعث لعانا ، ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون » (6) .

وفى ضوء هذا يظهر الدور الفعال الذى قام به النبى (ص) فى ارساء أصول الاخلاق الاسلامية الشاملة .

(6) انظر : أدب الحديث النبوى لبكرى شيخ أمين ، ص 97 .

ومن الجدير بالذكر أن السنة تعد المصدر الثانى فى التشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم الذى دعا الى الاخذ بها . والسنة فى اصطلاح علماء الاصول : ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أقوال ، أو افعال أو تقاريرات . وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » أخرجه أبو داود والترمذى .

وهكذا نلاحظ أن هناك ارتباطا وثيقا بين القرآن والسنة ، لان السنة تعد المصدر التفسيرى والمكمل للقرآن الكريم ، ولنسمع فى ذلك الى قوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل : 44) .

وهكذا تصبح السنة حجة على كل المسلمين بحيث يجب اتباعها . يقول الله عز وجل : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (الحشر : 7) . وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء : 65) .

فضلا عن ذلك ، هناك عدة آيات قارنت بين طاعة الله وطاعة الرسول وأوجبت الرجوع والاحتكام الى الكتاب والسنة فى حالة الاختلاف والنزاع بين المسلمين يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأولى الامر منكم . فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (النساء : 59) .

وتجدر الاشارة هنا الى أنه لا يمكن بأى حال من الاحوال أن نستعرض جميع القضايا الاخلاقية التى طرحت فى القرآن والسنة ، كالمحبة ، والاثار ، والعدالة ... الخ .

وحسبنا أن نقول : ان الاخلاق الاسلامية تميزت بالمثالية الواقعية فهى لم تسبح فى عالم الخيال ، ولم تجرد الانسان من دوافعه الفطرية فتحمله ما لا يطيق ، ثم انها لم تضرسه بالنظريات المثالية والتجارب الفاسدة تاركة دوافعه بدون ارشاد وتوجيه سليم .

ويمكننا أن نقول بكل يقين جازم بأن الاخلاق الاسلامية تمثل فطرة الانسان السليم .

5 - الاخلاق الاسلامية تعكس فطرة الانسان :

مما لا شك فيه ، أن الاخلاق الاسلامية جاءت كاشفة عن مكنونات وأسرار الشخصية الانسانية ، سواء ما يتعلق بالناحية الجسمية أو العقلية أو الروحية فهى كذلك لم تغفل الحياة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة التى لها اثر فعال فى تصرفات الفرد .

ولو درسنا نقطة انطلاق الاخلاق الاسلامية ، لوجدنا أنها تنطلق من فطرة الانسان ذاته . يقول الرسول الكريم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

يمجسانه » . ويقول الله عز وجل : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (الروم : 30) .

من خلال هذه الادلة النقلية يتبين أن الاستعداد للخير فطرى فينا ؛ الا أن الاكتساب الخلقى مهما كانت طبيعته حسنة أو سيئة يكون من قبل المجتمع .

اذن فالانسان قابل أن يكتسب الفضيلة الخلقية فى مرحلته التأسيسية الاولى المتمثلة فى عائلته ، وهذا الاكتساب الاول يعتمد على فطرته الاولى النقية ، الا أن الفرد بعد مدة زمنية سوف يقع تحت المؤثرات الاجتماعية ومؤسساتها كالشارع ، والمدرسة ، والنوادر وأجهزة الدولة ... ان اصلاح النفس وفسادها مرتبطان الى حد كبير بالمجتمع الذى يعيش فيه الانسان ، ولقد قيل ان الانسان مدنى بالطبع ، فقد أقرت الدراسات العلمية والملاحظات الاجتماعية أن الفرد يكتسب ماهيته الانسانية من المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه ؛ اذن فالفرد لا يمكن بأى حال من الاحوال أن يستغنى عن أبناء مجتمعه والا فقد خصائصه الانسانية .

من خلال هذه الحقيقة الاجتماعية ، فان أغلب مفكرى علماء النفس والاجتماع يرون أن اصلاح المجتمع لا يكون الا عن طريق اصلاح الفرد ومؤسساته التى ينتمى اليها . وهكذا يغدو المجتمع مسئولا الى حد ما بتهذيب سلوك الفرد ،

نحو الافضل ، واستغلال القوة الكامنة فيه حتى يصبح عضوا نافعا وصالحا في مجتمعه .

ومن هنا فقد كانت الاخلاق الاسلامية تقوم بتوجيه وتهذيب حاجات الانسان الروحية والمادية ، وتقوم بافراغها في قالب المثالية الواقعية ، ولا أدل على ذلك من سيرة الرسول الكريم .

فقد روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى - ص - يسألون عن عبادة النبى - ص - فلما أخبروا كأنهم تقالوها (7) فقالوا : وأين نحن من النبى - ص - ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ؛ وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله - ص - فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وعن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حبيب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

(7) تقالوها : جعلوها قليلة .

وقد جاء فى حديث آخر عن النبى - ص - قال : « ان
لنفسك عليك حقا ، وان لأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق
حقه » .

وهكذا نصل الى المعطيات الاخلاقية الاسلامية التى تميزت
بالواقعية التى أعطت قيما أخلاقية ثابتة لا تبديل ولا تغيير
فيها ، ولا تخضع لأهواء الافراد أو الجماعات لأنها انعكاس
طبيعى لفطرة الانسان السليم الذى لا يتغير جوهره ، ضمن
حدوده ، وقدرته الفطرية ، وفى مسألة كهذه لا نستطيع أن
نغفل عن قوله تعالى : لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم «
(الروم : 30) .

6 - لا تبديل فى أصول الاخلاق الاسلامية :

مما لا شك فيه ، أن الناس يختلفون اختلافا جوهريا فى
كل ما يتعلق بالقيم الاخلاقية . كالحير والشر والعدل ،
والاخاء ... الخ . وذلك تبعا لأوضاعهم الاقتصادية ،
والاجتماعية والسياسية وحالاتهم النفسية المتقلبة ازاء
الاحداث اليومية .

ولعل من المناسب ، ان نذكر بعض الحالات لتكون الفكرة
واضحة أمامنا . فالانسان الذى ينشر أفكارا حرة فى النظام
الشيوعى كحرية العقيدة الدينية والملكية وحرية الصحافة
والاحزاب يعد فى نظر هذا النظام خائنا ورجعيا . أما بالمقابل
- أى فى النظام - الرأسمالى فيعد هذا الانسان ثوريا

ووطنيا ... الخ . فهكذا نلاحظ أن القيم الخلقية لا تستقر على قاعدة ثابتة ولا سيما قيمة العدالة التي تختلف على حسب الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ فالعدالة الشيوعية في الدول الماركسية ، يختلف مفهومها كل الاختلاف عن العدالة الرأسمالية التي تنطلق أساسا من حرية الشخص التي تناقض رأى الماركسية . ثم ان هذا الشخص نفسه قد يختلف لديه المعيار الخلقى على حسب حالته النفسية والاجتماعية فقد يستهجن اليوم فعلا كان بالامس يستحسنه، تبعا للتغيرات التي أثرت في سلوكه ومصالحه المادية، من هذا يتأكد لنا أن الفكر البشرى الى حد الساعة لم يستقر على الحقيقة الاخلاقية المطلقة . غير أن الاسلام له مقولاته الثابتة المطلقة فيقول في هذا الشأن أنور الجندى : « والاسلام لا يقر نسبية الاخلاق أو زمانيتها أو ارتباطها بالبيئات أو العصور . فالاخلاق قيم ثابتة مرتبطة بالانسان من حيث هو انسان لا يخضع للتغيير ، انما تتغير العادات والتقاليد المحدثه .

وفي مفهوم الاسلام أن هناك قيما ثابتة لا سبيل الى تغييرها في العقائد والاخلاق . وان هناك قيما تتغير وتتطور مع الازمان والاحداث .

أما القيم الاصيلية الثابتة ، فان أى تطور حضارى أو تغير في نظام المجتمع ، لا يقضى عليها ، ولا يترخص لتأويلها .

وليست قيم الاسلام قيم عصور مضت ، أو بيئات بدوية كما ترددها الشبهات وانما نزل القرآن للعالمين جميعا وللأزمنة

والعصور على نحو سمح مرن يضع الاصول والضوابط ،
ويفسح الاطار الواسع للتحرك والتطور والتغير ، فلا توصف
قيمة بأنها قديمة أو بدوية ، أو خاصة بأمة أو عصر « (8) .

ج - أسس الاخلاق الاسلامية :

لقد أرسى الاسلام قاعدة الكليات الاخلاقية ذات الاطار
الواضح الثابت الذى تنطلق منها الانسانية فى تصرفاتها
السلوكية . ولا بد لكل دارس فى العلوم الانسانية أو المادية
أو العلوم المعيارية ، أن ينطلق من نقطة الاصول الواضحة
الثابتة ، ومنها تتفرع الفروع المتخلفة دون أن تفقد وتترك
محورها الاصيل الثابت ، وهذه الحقيقة البديهية تنطبق
كذلك فى مجال الاخلاق الاسلامية القائمة على الايمان
والاسلام والتقوى ، والاحسان والنية .

وغنى عن البيان . فان الانسان يختلف عن سائر الحيوانات
العجماء وذلك بكرأهته ، وان مكانة الانسان فى القرآن
الكريم هى أعظم وأعلى مكانة له بين جميع المخلوقات الموجودة .

وان الانسان مكرم عند الله ، وقد فضله تفضيلا على
سائر المخلوقات . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الرفعة
الشريفة فى قوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم
فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا » (الاسراء) .

(8) أنور اجندى ، شبهات التغريب فى غزو الفكر الاسلامى ، ص 352 .

ان هذه الآية الكريمة ، أكدت وأقرت أن للانسان فضلا ورفعة على بقية الكائنات الاخرى ، ومكانة لا تقارن بالكائنات الاخرى التى خلقت فى هذا الوجود .

ومن هنا نستنتج أن هذه الكرامة مرتبطة بالمثل الاخلاقية التى تظهر عزة الانسان نحو حياة مشرقة تعرف طمأنينة القلب عن طريق الايمان العميق الثابت وفى ذلك يقول الله عز وجل : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (الرعد : 28) .

ويحسن أن نذكر هنا ، أن الاخلاق الاسلامية كلها قائمة على الاسس التالية : - الايمان ، والاسلام - والتقوى - والاحسان - والنية - يقول أبو الاعلى المودودى (9) رحمه الله : « الايمان والاسلام والتقوى والاحسان وهى كلها مرتبة ترتيبا فطريا بحيث أن كل تالية منها تتولد من سابقتها ولا تؤسس الا عليها . فما دامت الطبقة الاولى منها غير محكمة متقنة ، لا يكاد يخطر بالبال أن تبني عليها الطبقة الثانية فالايمان بمنزلة الاساس فى هذا البناء ، وهو الذى تقوم عليه طبقة الاسلام ، ثم تشيد على طبقة الاسلام طبقة التقوى فطبقة الاحسان » (10) .

(9) أبو الاعلى المودودى (1903 - 1978 م) ، عالم وفيلسوف مسلم من أصل باكستاني ، اشتهر بمواقفه الصلبة والمشرقة فى محاربته للتيارات التحريفية الدخيلة فى الاسلام . أهم آثاره الفكرية : مجلة الترجمان - نحن والحضارة الغربية - الحجاب - الاسلام والجاهلية .
(10) أبو الاعلى المودودى - الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية ، ص 44 .

وبهذا التحليل المنطقي المقبول ، يمكننا الآن ان نحلل هذه الاركان الاصيلة فى فلسفة الاخلاق الاسلامية ، مبتدئين بالركن الاول المتمثل فى الايمان .

1 - الايمان :

الايمان هو التصديق المطلق الثابت بالقلب والاقرار باللسان - ومن صفات الايمان أن يسلم الانسان بالشئء تسليمًا كليًا ثابتًا بدون ريب ولا شك .

والايمان فى الشرع اظهار الخضوع والقبول للشرعية ، ولما أتى به النبى - ص - ، واعتقاده وتصديقه ، فمن اعتقد وشهد ، وعمل ، فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب ، ومن اعتقد وشهد ، ولم يعمل فهو فاسق ، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق (تعريفات الجرجانى) (II) .

وهكذا يغدو الايمان هو الاقرار بالتوحيد الذى يتمثل فى الاقرار والاعتقاد الجازم فى القلب ، بأن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، أى أن الله هو المالك الوحيد الخالق لهذا الكون ، والمدير الوحيد الكامل لكل ما يقع فيه من أحداث وأن محمدا رسول الله خاتم الانبياء والرسول ورسالته حق على العالمين مع الالتزام بتطبيقها واتباعها فى حياتنا الدنيا .

والايمان هو الاساس الاصيل فى ترسيخ عقائد الاسلام ، فبدونه لا يمكن أن يتمتع المسلم بعقيدة صلبة ، فاذا استقرت

(11) جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ، الجزء الاول ، ص 186 .

هذه العقيدة الصحيحة فى حياة المسلم ، كانت الثمرة المرجوة فى القول والعمل الاخلاقى باذن الله .

والايمان يعد الجوهر الاساسى للحياة الاسلامية وأخلاقيها . وبدونه تفقد الشريعة الاسلامية دعائمها ، لانها مرتبطة قبل كل شئ عليه .

ومن هنا نجد الايمان والعمل الاخلاقى متلازمين ومتراپطين ارتباطا عضويا فى الفكر الاسلامى فلا يمكن الفصل بينهما . ولذا نلاحظ ان أكثر الآيات القرآنية ، تؤكد أن العمل الاخلاقى يكون دوما مقترنا بالايمان كقول الله عز وجل : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (الكهف : 30) .

وفى آية أخرى يقول الله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (آل عمران : 200) .

الا أن مقياس درجة الايمان ، يختلف بين شخص وشخص آخر . فهناك من يرى أن الايمان شئ وأن الاعمال شئ آخر فهذه الازدواجية لا معنى لها . والا أصبح ايماننا فكرة جوفاء . وهذا الانسان تراه الشريعة الاسلامية عاصيا وفاسقا ومنافقا . معتمدة على الادلة القرآنية كقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (الصف : 2 - 3) .

وفى آية أخرى يقول تعالى : « ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا » (الجن : 23) .

ويقول الرسول الكريم - ص - : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (متفق عليه) .

وعلى هذا يمكن القول : بأن الايمان الصحيح هو اللبنة الاساسية التى تقوم عليها حياتنا الخلقية ، فاذا صلحت هذه اللبنة صلحت تصرفات الانسان ووجهها نحو الخير الاسمى ، وضحى بكل شئ فى سبيل توطيد دعائم الاسلام .

2 - الاسلام :

أما الاساس الثانى الذى يترتب عن الايمان فهو الاسلام العمل الذى يظهر أثره فى حياة الفرد والمجتمع . وعلى الفرد أن يظهر نفسه من الاخلاق السيئة كالحسد والنفاق ، والغدر ... الخ . لأن اصلاح الباطن أساس لكل سلوك ظاهرى .

وبهذا ندرك أن صاحب السلوك لابد أن يكون له ايمان عميق وثابت لا يتأثر بالاهواء وتغيرات الاحداث النفسية والاقتصادية والسياسة التى كثيرا ما تصهر وتقيم قرارة ايماننا ازاء الاحداث الطارئة .

ومن هنا نجد علاقة تلازمية ، بين الايمان العقائدى والاسلام العملى وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « ليس

الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكن هو ما وقر فى القلب
وصدقه العمل .

انطلاقا من هذا المنطق السليم ، هناك من يرى أن الدين
والايمان والاسلام أسماء لشيء واحد وهو طاعة الله تعالى ،
وتطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا عمليا . فالاخلاق الاسلامية
لا تجيز بأى حال من الاحوال الفصل بين القول والعمل ،
والا أصبح الايمان فكرة جوفاء لا معنى له فى حياة المسلمين ،
فهذه الازدواجية التحريفية تتناقض كل التناقض مع النصوص
القرآنية الصريحة التى تربط بين الايمان والعمل ، وتجعل
العمل الصالح ضرورة أكيدة لاستخلافنا فى الارض ولنسمع
فى ذلك انى قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من
قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم » (النور : 55) .

وفى سورة العصر يقول الله عز وجل : **والعصر ، ان
الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » (العصر : 1 ، 2 ، 3) .

وبعد هذه الادلة العقلية والنقلية ، نستطيع أن نقول بأن
الاخلاق الاسلامية الاصيلية لا وجود لها الآن فى العالم
الاسلامى بسبب الانشطارية بين القول والعمل وتتجلى هذه
الازدواجية الحادة فى الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية
ولا سيما ما يتعلق بالجانب السياسى والاقتصادى ، فالدولة
هنا تعاقب الانسان أشد العقاب اذا مس هذا الجانب ؛

أما ما يتعلق بسلوك الفرد فلا تعير له أى اهتمام ولو حقق نزواته الحيوانية على حساب القيم الاخلاقية ، أمام الرأى العام .

ولا شك أن هذا الاتجاه السائد فى أخلاقيات المسلمين اليوم يعد انحرافات واضحا وخطيرا . فى نفوس المسلمين .

يقول الاستاذ محمد قطب (12) : كيف صار المسلمون الى ما صاروا اليه اليوم من انحراف عن الاسلام ، وكيف انحسر مفهوم الاسلام فى نفوسهم الى هذه الصورة الهزيلة ، التى صارت - فى أحسن حالاتها - مجموعة من الشعائر التعبدية - المخلصة - .

وفى معظم حالاتها عبادة لله - بالنية الحسنة ، وفى أسوأ حالاتها خروجاً صريحا على الدين ، ونفورا منه وانسلاخا من كل رابط يربطهم بتعاليمه ؟

لا شك أن انحرافا عظيما وقع فى نفوس المسلمين .

فمجرد المقارنة بين صورة المجتمع المسلم والمجتمع الذى نعيش فيه ، تبين لنا الفارق المذهل بين المجتمعين ، وتكاد تفصل بين المجتمع الذى نعيش فيه وبين الاسلام ! لولا هذه الصيحات المتكررة فى أنحاء العالم الاسلامى ، الداعية الى

(12) السيد محمد قطب : رائد من رواد الفكر الاسلامى المعاصر ، من أصل مصرى ، يرى أن حل مشاكل الانسانية تكمن فى الاسلام . أهم كتبه : معركة النقاليد ، هل نحن مسلمون ، شبهات حول الاسلام .

العودة للإسلام ، ولولا أولئك الافراد ، المتفرقون فى العالم الاسلامى ، الذين ، يدركون المفهوم الصحيح للإسلام ، ويعيشونه فى واقع حياتهم — بقدر ما يطبقون فى مجتمع غير مسلم — ثم يدعون الناس أن يدركوا هذا المفهوم معهم ، ويعيشوا معهم فيه « (13) .

والآن فلننظر الى الدرجة الثالثة فى الاخلاق الاسلامية ، المتمثلة فى التقوى .

3 - التقوى :

أما الفكرة الثالثة التى تقوم عليها الاسس الاخلاقية ، والتى نعى بها فضيلة التقوى المتولدة فى حالتنا النفسية الذاتية والناבעة عن خشية الله تعالى والشعور بأن الله عز وجل هو الرقيب الوحيد لتصرفاتنا وأعمالنا الخلقية ، المتجلية فى حياتنا الفردية والجماعية ، فهذه الفضيلة الخلقية مرتبطة بطهارة القلب ، والتجرد من الاهواء ونزواتنا الحيوانية التى تدفعنا الى تحقيقها واشباعها بأية طريقة سواء كانت مباحة أو محرمة .

ومن هنا نستنتج أن التقوى هى أصل مكارم الاخلاق الاسلامية المرتبطة بحياة المسلمين ووجودهم ، لانهم هم المستخلفون فى الارض لاقامة المجتمع الانسانى القائم على شريعة الاسلام .

(13) محمد قطب : هل نحن مسلمون ؟ ص 95 - 96 .

ان مهمة المسلم فى الحياة ، ان يحرر نفسه ، والانسانية
جمعاء من عبودية الانظمة الانسانية ، فلا يعترف بأية سلطة
الا سلطة الله ، لتحطيم كل الطواغيت البشرية ، لتحقيق
سلام الاسلام فلا يموت الا وهو على شهادة الاسلام .

وهكذا نجد علاقة عليية قائمة بين الركن الثالث - أى
التقوى - والركن الثانى - أى الاسلام - فى فلسفة الاخلاق
الاسلامية القائمة على الايمان دائما .

وفى ذلك يقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »
(آل عمران : 102) .

من هذا فان الالزامات الاخلاقية الاسلامية ، صادرة من
طهارة القلب ، وتطهيره من الوسائس والنزوات الحيوانية
التي تدفعنا الى الاخلاق الدنيئة .

وهذه الفضيلة الاخلاقية ، لا تنحصر فى مجال سلوك
الفرد ، بل تتعداه الى احكام العلاقة الحفية الخلقية بين
الانسان وربه ، وبين الانسان والانسان وبين الانسان
ومجتمعه ، وتجعل هذا الشخص يراقب نفسه بنفسه .

فاذا بلغ هذه المراقبة التلقائية أى انسان ، فلا شك أنه
قد وصل الى الكمال الخلقى ، وهذا ما تهدف اليه التربية
المثالية .

ولقد بلور هذه الفكرة الاستاذ أحمد الشرباصى نقلا عن
 المرحوم الرافعى (14) فيقول : (ويرى المرحوم الرافعى أن
 كلمة - التقوى - لا تفسرها بالتحديد والتعيين الا كلمة
 - الخلق الثابت - وأن خير الامم هى التى توطد دعائم
 مجتمعها بهذا الخلق الثابت » فان مرجع التقوى فى مظاهرها
 الاجتماعية الى شيئين : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما
 المبدأ والغاية لكل قوانين الآداب والاجتماع ، ثم مرجعها فى
 حقيقة نفسها الى شىء واحد وهو الايمان بالله . فالامة التى
 تكون لافرادها فضيلة التقوى تكون لها من هذه الفضيلة
 صفات اجتماعية مختلفة ، يؤدى مجموعها الى صفة تاريخية
 واحدة ، وهى أنها خير أمة ، على هذا جاء قوله تعالى :
 « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
 المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران : 110) (15) .

ولو رجعنا بعد هذا ، الى الفكرة الاولى التى طرحناها فى
 هذا الفصل سوف نلاحظ بكل تأكيد أن هناك اقترانا وتلازما
 بين الايمان والاسلام والتقوى لا ايمان بدون اسلام .
 ولا اسلام بدون تقوى ، فهكذا نصل الى النتيجة المنطقية ،
 لا ايمان بدون تقوى .

(14) مصطفى صادق الرافعى (1880 - 1937 م) أديب ومفكر مسلم ، دافع
 عن أصالة الاسلام . أهم كتبه : تحت راية القرآن - وحى القلم .
 (15) أحمد الشرباصى ، موسوعة أخلاق القرآن ، ج 1 ، ص 203/204 .

ولنتأمل قوله تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم
البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله
ذلك هو الفوز العظيم » (يونس : 64) .

وفى آية أخرى يقول تعالى : « وأنجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون » (النمل : 53) .

كان لابد اذن ، والامر كما ذكرنا ، أن يؤكد القرآن
الكريم أن هناك علاقة منطقية بين الايمان والتقوى الصادقة
فلا يعقل أن يكون ايمان الانسان ثابتا ، بدون أن يتحلى
بفضيلة التقوى التى يتجلى أثرها فى حياته الفردية
والاجتماعية .

ان هذه الخاصية الخلقية ، تجعل الانسان المسلم لا يتأثر
ولا يتغير بتقلبات الزمان والمكان ، بل يرصد نفسه ويرغمها
على التمسك الدائم بمكارم الاخلاق القرآنية التى تبعدها من
الرياء والنفاق وتدفعنا الى الاخلاص والاحسان اللذين
يكملان فضيلة التقوى .

4 - الاحسان :

أما الاساس الرابع الذى يندرج فى سلم الاخلاق القرآنية،
تدريجا طبيعيا فيمثلها الاحسان بالمعنى الواسع .

فاذا كانت فضيلة التقوى هى اجهاد النفس ومحاسبتها
حسابا ذاتيا دقيقا ، فهى بالتالى مقترنة بقيمة أخلاقية أخرى

المتثلة في الاحسان الذي هو الزيادة عن الواجب بعد مراعاة العدل القائم على العقل لان فيه مساواة رياضية دقيقة .
اما فضيلة الاحسان فتقوم على المحبة الانسانية والتفضل بها ليس واجبا ولنلاحظ قوله تعالى : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (آل عمران : 134) .

ان هذه الآية الكريمة ، تشير الى أن الاحسان هو صنع الجميل الى من أساء الينا . بعد كظم حالتنا النفسية والانفعالية وعدم رد الفعل المماثل له .

ولعل من المناسب أن نذكر أن علماء الاخلاق قد اهتموا بدراسة هذه الظاهرة ، وعلاقتها مع العدل ، مع العلم ان العدل يقصد به الانصاف والمساواة الدقيقة والتامة بين الناس كلهم .

ولقد أمر الله عز وجل نبيه أن يحكم بين الناس بهذه الخاصية الخلقية رغم اختلاف وتباين اتجاهاتهم الدينية . ولنتأمل قوله تعالى : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم » (الشورى : 10) .

يقول أبو حامد الغزالي (16) في صفة الاستقامة : « ان الاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ، ولكن ينبغي (16) أبو حامد الغزالي (1058 - 1111 م) يعد من عظماء الاسلام الذين قاوموا الباطنية والتيارات الالحادية . أهم كتبه : احياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، معيار العلم .

أن يجتهد الانسان فى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها . فكل من أراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ، ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة » (17) .

ومهما كان الامر فان الشريعة الاسلامية وأحكامها تتميز بالعدل الصارم الذى يقيد ويحكم سلوك الناس فى حالة النزاع ، لياخذ كل ذى حق حقه .

فالعدالة الاسلامية هى عدالة الهية ، فلا تفضل النفس ، أو القريب أو الغنى أو الحاكم ... ولا يرتفع فوقها أحد مهما كانت طبيعته النفسية أو الاجتماعية ، ولنسمع الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (النساء : 135) .

ثم ان العدالة الاسلامية قد حطمت الحواجز الجنسية والعرقية ، ولنتأمل قول الرسول الكريم القائل : « ان أمر عليكم عبد حبشى مجدوع الانف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله » (18) .

ومن هذا ، يتأكد لنا أن الاخلاق الاسلامية لا تعير أى اهتمام للجنس ، أو القبيلة أو الاسرة ، أو اللون أو طبقة معينة فى مجتمع ما دام الناس سواسية أمام الله ، فقد خلقهم

(17) أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، ص 65 .

(18) الجامع الصحيح ، الجزء الثالث ، ص 13 .

من نفس واحدة ، وفى ذلك يقول الله عز وجل فى سورة النساء : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » (النساء : ١) . وهكذا نستنتج أن الاسلام لم ولن يعترف بالتمييز والتفاضل الا بالعمل الصالح والجد .

وحسبنا هنا أن نستدل ببعض آيات قرآنية كقول الله عز وجل : « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءُ الْإَوْفَى » (النجم : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) .

وكان لزاما علينا ، أن نبين هذا الجانب العملى فى الاخلاق الاسلامية ، والا سوف يفهم من خلال تحليلاتنا الفكرية أن الاسلام قائم على عنصر الاحسان ، بدون عدل ، فهذا يتنافى مع أصالة الاخلاق الاسلامية .

وأيا كان الامر فان الاحسان مرتبط بالايمان والتقوى ، والاحسان اذا تحقق على وجهه السليم ، كان ثوابه عظيما وأثره فعلا فى الحياة الفردية والجماعية وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُهُمْ » (الرعد : ٢٩) .

« وَإِنْ تَحْسَنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء : ١٢٨) .

وفوق هذا وذاك ، فان الاحسان يمثل فى أمهات الاخلاق الاسلامية لبنة الايمان ، وروحه الذى يندمج مع عواطفنا الصادقة المؤمنة بعظمة الله عز وجل .

يقول الرسول الكريم (ص) : « أكمل المؤمنين ايماننا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم .

وهكذا يظهر لنا جليا ، أن فضيلة الاحسان فى حقيقة أمرها ، تمس العقيدة وفروعها من حيث أن هذه الفروع تمثل سلوكنا وتصرفاتنا المتصلة بذاتنا ومع غيرنا .

ولعل من المفيد ، أن نذكر هنا ، رأى الامام الكبير أبى حامد الغزالي حيث بلور الفكرة وعمقها فقال : « وقد أمر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا ، والعدل سبب النجاة فقط وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال ، والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة ، وهو يجرى مجرى الربح ، ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا فى معاملات الآخرة ، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ، ويدع أبواب الاحسان ، وقال الله تعالى : « وأحسن كما أحسن الله اليك » (القصص : 77) ، وقال عز وجل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (النحل : 90) وقال سبحانه وتعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » (الاعراف : 56) .

ونعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، فان الواجب يدخل فى العدل وترك الظلم .

والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ، ومرة بالامهال والتأخير ، ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد ، وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء » . فليفتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : « اسمح يسمع لك » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من انظر معسرا ، أو ترك له ، حاسبه الله حسابا يسيرا » . وفى لفظ آخر : أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله « (19) .

والى هنا نستطيع أن نقول لابد من الاحسان بين أفراد المجتمع البشرى لتوطيد وترسيخ دعائم المحبة والتواصل . غير أن لهذا الاحسان يشترط أن تكون له حدود معقولة . والا أصبح مجتمعنا تسيطر عليه العواطف والمحابة ، فهذا يتنافى مع العدالة الاسلامية .

وبعد هذه التحليلات فى أسس الاخلاق الاسلامية ، يتبين لنا أن هناك تدرجا منطقيا فى الاخلاق الاسلامية . فاذا نزعنا

(19) نقلا عن موسوعة أخلاق القرآن ، الجزء الاول ، لاحمد الشرباصى .
ص 47 .

احدى هذه الاسس ، فان تلك الاخلاق تغدو لا معنى لها ،
وتفقد جوهرها وشموليتها الضاربة فى الطبيعة البشرية .
هذه هى الحقيقة الواضحة التى لا يمكن طمسها أو
تحويلها من مصادرها الاساسية القرآن الكريم والسنة الشريفة
د - الاخلاق الاسلامية والنية :

1 - ارادة الانسان شرط ضرورى للعمل الخلقى :

لقد رأينا فيما سبق ، أن أمهات الاخلاق وأصولها تعود
دائما الى القرآن الكريم والسنة الشريفة .

الا أن الامر يتطلب منا أن نشير الى عنصر جوهرى يرتبط
بأعمالنا الخلقية وعلاقتها بالغاية التى نطلبها مسبقا ، فهذه
الغاية فى حقيقة أمرها تجسدها ارادة الانسان ثم نيته دائما .

لا جرم أن الانسان هو الكائن الوحيد الذى يتميز بالارادة
الحرّة التى تختار بين الطرفين المتناقضين - الخير والشر -
العدل والظلم - ولقد عرف ابن رشد الارادة بما يلى : « قوة
فيها امكان فعل أحد المتقابلين على السواء - الا أن الفعل
الارادى مهما كانت طبيعته المرتبطة بالنية لا يتحقق الا
بالشروط التالية :

أ - الشروط العضوية : يقتضى الفعل الارادى نضجا
عضويا ، وعصبيا واكتمالا حركيا وتكاملا فى المراكز النفسية
الحركية فى الدماغ اذ لا نجد فعلا اراديا لدى الحيوان أو
الطفل أو المجنون .

ب - المعرفة : الفعل الارادى متعقل أى ناتج عن معرفة ذلك العمل بحيث نستطيع أن نميز بين الخير والشر والحق والباطل .

ج - الحرية : ان الذى يرتكب فعلا بالاكراه أو يلزم عليه من قبل غيره لا يكون مسؤولا عن أفعاله ، كذلك الامر حينما يكون الانسان فى حالة اضطراب أو انفعال شديد أو فى حالة مرض خطير ، فلا يستطيع المرء أن يضبط أعصابه ويتحكم فى تفكيره ، ففى هذه الحالة سيفقد السيطرة على ذاته فلا يكون المرء مسئولا عن أعماله الخلقية .

اذن ، هناك بواعث عقلية ارادية تحت الانسان على فعل الخير والابتعاد عن الشر . الا أن هذه الارادة مرتبطة بالنية . فالارتباط بينهما وثيق جدا ، بحيث ان التحرى أو التحدث عن احدهما يقتضى بالضرورة التحدث عن الاخرى فعلىنا الآن أن نتحدث عن النية ودورها فى مجال الاخلاق الاسلامية .

2 - النية لغة واصطلاحا :

النية لغة : البعد ، القصد ، العزم . أما من حيث الاصطلاح فيقصد بها الارادة المتوجهة نحو الفعل الخلقى .

ولقد جاء فى موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية للتهاتوى ما يلى : النية لغة عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع ودفع ضرر . أما شرعا هى الارادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله أو امتثالا لحكمه فمن

فعل نائما أو غافلا ففعله معطل مهمل يماثل أفعال الجماد ،
ومن أتى طاعة رياء أو طمعا فى عطاء دنيوى أو توقعا لثناء
عاجل ، أُر تخلصا عن تعنيف الناس فهو مزور » (20) .

أما بالنسبة الى الاستاذ محمد عبد الله دراز فيرى أن هناك
علاقة عليّة قائمة بين النية والارادة الخيرية التى تدفعنا الى
تحقيق الاشياء أو لاحترازها ، فيقول فى هذا الشأن : النية
بالمعنى الواسع للكلمة : حركة تنزع بها الارادة نحو شيء معين
لتحقيقه ، أو لاحترازه .

والموضوع المباشر للارادة الفاعلة هو - العمل - الذى
تشرع فى أدائه ، ولكن هذا المشروع لا يكون ممكنا كمشروع
ارادى على وجه الكمال ، الا حين يلمح الانسان فى صميم
العمل ومن ورائه شيئا من الخير ، أيا كان ، يزيكه فى نظره ،
وينشئ له سبب كينونته ... وفى هذا يكمن الموضوع غير
المباشر ، أو الغاية الاخيرة التى يقصد اليها الجهد العاقل ،
الواعى ، والتى يتطلع الى بلوغها » (21) .

وأيا كان الامر فان الاخلاق الاسلامية تضرب صفحا عن
أى عمل يأتى به الانسان اذا كان ناقص الارادة الشعورية
أو النية ، لا سيما السلوك اللاشعورى الذى يفلت من ارادتنا ،
كالحلام والانفعال والنسيان ، والادراك القهرى .

(20) نفس المرجع ، الجزء السادس ، ص 1439 .

(21) محمد عبد الله دراز ، دستور الاخلاق فى القرآن ، ص 421 .

فهذا انسلوك لا يمكن أن يوصف بأنه حسن أو قبيح .
أما بالمقابل فإن النية لها أهميتها القصوى لجميع أعمالنا
الدينية والدنيوية .

3 - لا عمل أخلاقي بدون نية :

لقد أفرغ الاسلام الاعمال كلها فى قالب النية الاسلامية
الخالصة . أما الاعمال التى يقوم بها الانسان دون نية فتعد
هباء ونفاقا ورياء ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة
فى قوله تعالى : « وما تنفقوا من خير فلانفسكم ، وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم
لا تظلمون » (البقرة : 272) .

ولقد شرح الامام الكبير السيد قطب (22) هذه الآية فى
قوله : « ان هذا هو شأن المؤمن لا سواء ، انه لا ينفق الا
ابتغاء وجه الله ، لا ينفق عن هوى ولا عن غرض ، لا ينفق
وهو يلتفت الى الناس يرى ماذا يقولون ، لا ينفق ليركب
الناس بانفاقه ، ويتعالى عليهم ويشمخ ، لا ينفق ليرضى عنه
ذو سلطان ، أو ليكافئه بنیشان ، لا ينفق الا ابتغاء وجه الله
خالصا متجردا لله » (23) . وكان لزاما علينا أن نستشهد ،

(22) يعد من أكبر رواد الفكر الاسلامى المعاصر الذى بين أصالته فى مشاكل
الساعة ، أهم كتبه : فى ظلال القرآن - الاسلام ومشكلات الحضارة -
العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

(23) نقلا عن موسوعة أخلاق القرآن لاهمى الشرباصى ، ص 101 ، الجزء
الخامس .

بقول الرسول الكريم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » متفق عليه .

من هذا يتأكد لنا أن الاخلاق القرآنية تتطلب منا الوعي الكامل والشعور الخلقى ، ازاء أعمالنا القاصدة وجه الله ورضاه ، لا الرياء أو السمعة بين الناس فهذه الاعمال لن تقبل في الآخرة ، ولنسمع في ذلك الى قوله تعالى : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (الفرقان : 23) .

ويحسن أن نذكر بعد ذلك الجانب العكسي من هذه القضية — أى النية بلا عمل — .

4 — النية بدون عمل :

لقد قلنا : ان العمل الاخلاقي بدون نية صادقة لوجه الله ، يعد باطلاً بدليل الأدلة النقلية التي قدمت ، ومن بين هذه الأدلة قول الرسول الكريم المشهور : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » متفق على صحته .

وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال : « ان بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ، ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض » وفى رواية : « الا شركوكم فى الاجر » رواه مسلم .

وليس من شك فى أن طبيعة الاخلاق الاسلامية تقوم على الجانب الشكلى والمادى معا - أى النية والعمل - .

ولعل أقوى شاهد على هذه الحقيقة أن بعض المسلمين لم يهاجروا الى المدينة بعد أن أمر الرسول الكريم ، كل المسلمين بالهجرة . فكانت بعض العناصر الاسلامية ، لم تتقيد بأمر الرسول بدعوى أنهم مستضعفون ، الا أن القرآن الكريم قد فضح أمرهم ، وأظهر نيتهم الفاسدة ، محذرا اياهم بالعذاب الاليم ، ولنسمع فى ذلك الى قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا» (النساء : 97 - 98 - 99) .

ومن هذا المنطلق القرآنى الكريم ، يتأكد لنا مرة أخرى، ان الاخلاق الاسلامية لا تعرف الانشطارية فى جوهرها بين النية والعمل ، فالعنصران ، يسيران متلازمين معا دائما - أى النية والعمل - .

ان النية الطيبة مهما كانت طبيعتها ، لابد أن تتجسم فى سلوكنا ، اللهم الا اذا كانت أمامنا عقبة واقعية كؤود .

وجدير بالذكر ، أن هناك بعض الحالات النفسية
وهو اجسها التي لا يستطيع الانسان ، أن يتخلص منها ، حيث
تبقى كامنة في نفوسنا بدون تنفيذ ، وتستأثر في حياتنا
العاطفية ، كالحب أو الكراهية ، أو التشاؤم ، أو التفاؤل أو
الشوق الى شيء ما . فان هذه الحالات النفسية في حقيقة
أمرها لا يمكن ان نحاسب عليها ، ما دامت ارادتنا لم تنفذها
في الحياة العملية .

والواقع أن الفعل الاخلاقي ، مرتبط بعملية التحقيق
والتنفيذ ، فهذه المرحلة تعد حاسمة في المسؤولية الاخلاقية ،
ولنتأمل قول الله عز وجل : « ان السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : 36) .

أما اذا رجعنا الى السنة فنجد قول الرسول الكريم - ص -
يقول : « ان الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به
صدورها ، ما لم تعمل به أو تتكلم » رواه البخارى (24) .

وتجدر الاشارة هنا الى أن هناك بعض النصوص الاسلامية ،
تعالج النية المخفقة اذا واجهتها بعض الحواجز . غير أنها تؤكد
أن هناك فرقا بين النية المتحققة والنية المخفقة في الدرجة ،
وفي ذلك يقول الرسول الكريم : « ان الله كتب الحسنات
والسيئات ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة

(24) انظر : محمد عبد الله دراز ، دستور الاخلاق في القرآن ، ص 468 .

كاملة، وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات ، الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة » رواه البخارى ومسلم .

وهناك نص قرآنى آخر يوضح لنا أن المؤمنين مصيرهم يكون النعيم الاخرى ، ولكن : درجة الجزاء لا تكون واحدة ، نظرا لاختلاف وضعيتهم فى الجهاد ، تبعا لحالتهم الخاصة التى تمنعهم عن الجهاد كالامراض والعاهات التى كثيرا ما تكون عقبة واقعية كؤود أمام فريضة الجهاد ، ولنتأمل قوله تعالى : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » (النساء : 95 - 96) .

وهنا نستطيع أن نقول : ان هناك بعض حالات قصوى التى تمنع الانسان أن يتحمل مسئوليته الاخلاقية ، ازاء ضميره والمجتمع . نظرا لوضعيته الخاصة التى قيدته ، ومنعته أن يقوم بواجبه الاخلاقى ، ففى هذا الظرف المؤقت أو الدائم قد تنتفى المسئولية الاخلاقية عنه لا سيما فى حالة افتقارنا الى المعرفة الكلية ، أو عدم وجود المؤهلات المشروطة لتحمل مسئوليتنا الاخلاقية . وحسبنا دليلا على ذلك قول الله عز وجل : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » (البقرة : 286) .

ولقد جاء الحديث الشريف موضحا هذه الفكرة - يقول الرسول الكريم : « ان الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكروها عليه » رواه ابن ماجه والبيهقى .

5 - علاقة النية بالعمل :

لقد رأينا فيما مضى أن الاخلاق الاسلامية لا تعبر أى اهتمام للظاهرة الاخلاقية اذا كان العمل بدون نية ، ونية بدون عمل . لابد أن تكون اذن هناك علاقة عضوية ، بين العنصرين ليسيرا جنباً الى جنب ، وفى هذا التحليل سوف نعالج هذه العلاقة العضوية .

وغنى عن البيان ، فان الاسلام قد ركز ووطد العلاقة الجوهرية الثابتة بين النية والعمل ، بشرط أن تكون النية طيبة والعمل طيباً ، كمن بنى مدرسة خيرية لوجه الله ابتغاء رضاه فقط .

فان هذا العطاء الفياض ، لا يقصد من ورائه مصلحة مادية أو نفسية . انه لا يريد من هذا العمل الا ابتغاء وجه الله أى الا طلب رضوان الله ، واحسانه ، وعفوه ، وجزائه الاوفى فى الآخرة .

لا جرم أن هذا العمل الخيرى ، قد انسجم فيه باطن النية الحسنة مع ظاهر العمل الخيرى ، وهذا هو العمل الصالح الطاهر من كل مظاهر الرياء الذى يتقبله الله ويرفعه - ولنتدبر قوله تعالى - : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » (فاطر : ١٥) .

وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » (مريم : 96) .

وأيا كان الامر فان الاسلام قد ربط الايمان الصادق بالعمل الصالح فى جميع الحالات ، فهناك تلازم وتلاحم بين الاعمال الصالحة وايمان الانسان ، اما اذا كان هذا الايمان ضعيفا أو مذبذبا فلا يمكن أن يظهر أثره فى سلوكه العمل الصالح ، بل تكون تصرفاته تتنافى مع الاخلاق الاسلامية الاصيلية ، وقد نتهم هذا المسلم ونصفه بالنفاق .

يقول الرسول الكريم فى هؤلاء : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أوتمن خان » . متفق عليه .

6 - النية الطيبة مصدر الاخلاق الاسلامية :

ان الاخلاق الاسلامية فى صميمها ، تنطلق من القلوب الطيبة المحركة لجميع أعمالنا الخارجة . لذا نجد الرسول الكريم ، اهتم اهتماما عظيما بالنية ، فطهرها من جميع مظاهر الرياء والشرك لان العقيدة اذا كانت موصوفة بهذه الاخلاق السيئة ، لا تستقر على قاعدة ثابتة ، بل يكون مصيرها الاضطراب والنفاق والغدر فى الاعمال .

ومن هنا تكون جميع أعمالنا خاضعة لنياتنا ، فتصلح وتفسد تبعاً لها .

والحق الذى لا مرية فيه فان الرسول الكريم ، قد بين خطر دور النية فى جميع أعمالنا الدينية والدنيوية على السواء ، وحسبنا دليلا على ذلك ، هذا الحديث الشريف القائل فيه : « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ، فقليل : يا رسول الله هذا القاتل ، فما المقتول ؟ فقال لانه أراد قتل صاحبه » متفق عليه .

فمعنى هذا أن النية الفاسدة والعمل الفاسد قد جمعا بين القاتل والمقتول على السواء . لان المقتول لو ظفر بصاحبه لقتله .

وفى حديث آخر ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من تزوج بصداق لا ينوى أدائه فهو زان ، ومن أدان ديناً وهو لا ينوى قضاءه فهو سارق » رواه أحمد وابن ماجه .
فهذا الحديث يشير الى أن النية السيئة جعلت المباح حراماً ، والجائز ممنوعاً .

هذه هى المعالم الحقة التى ينبغى اتباعها فى حياتنا الفردية والجماعية ، وأن نظهر نفوسنا من الرياء والمراوغة التى كثيراً ما تعكر علاقاتنا الاسلامية وصادقتنا مع غيرنا . الا أن هذا الامر سيختلف مع أعدائنا فى وقت الحرب التى تتطلب منا الحيلة والحذر واليقظة ، ولقد صدق الرسول الكريم حين قال : « الحرب خدعة » . وقال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » رواه أبو داود .

وهكذا تصبح النية شرطا فى الاخلاق الاسلامية الا أن النية لا تكفى ، لابد أن يكون العمل والنية يتميزان بالخيرية ولا يجوز الفصل بين الجانب الشكلى والمادى . لان النية السيئة تجعل من الفعل الخير فعلا سيئا من الناحية الاخلاقية كالانسان الذى يعمل عملا صالحا لحاجة فى نفسه كحب الظهور والرياء .

مثال ذلك كمن يسرق وهذا فعل الشر - من أجل بناء مسجد - فالغاية الخيرة هنا لا تبرر فعل الشر وهو السرقة التى تعد كبيرة من الكبائر التى حرمها القرآن الكريم بالنص الصريح .

يقول الله عز وجل : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » (المائدة : 38) .

ولقد لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرتكبها فقال : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » متفق عليه .

أما عكس هذه القضية فتتمثل فى أن يكون العمل شرا والنية خيرا مثال ذلك : الطبيب الذى يقتل عمدا مريضه بدواء ما ، لا أمل له فى الشفاء لكى يخفف عنه الالم الذى طال معه ، ففى رأى الطبيب أنه قام بفعل خير بدافع النية الطيبة فى زعمه . ولكن الوسيلة التى لجأ اليها لهذه الغاية

هى شريرة فى ذاتها وهى القتل المتعمد . ونحن لا نشك أن هذا العمل يعد من أكبر الجرائم من الناحية القانونية والاخلاقية . أما نية الشفقة فلا تبرر هذا القتل ، مهما كانت الدوافع ولو وافق المريض وأهله بهذا العمل اللاأخلاقى لان الحياة حق لواهبها - أى الله عز وجل - . وهذا الفعل يعد جنائية .

وفضلا عن ذلك فان هذا العمل اللانسانى يتناقض مع النصوص الاسلامية الصريحة كقول الله عز وجل : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . (النساء : 93) .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » متفق عليه .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » رواه البخارى .

ثم ان هذا العمل الذى قام به الطبيب يحمل فى طياته يأسا وقنوطا وعدم الرأفة بالروح الانسانية ، ألم يقل الله عز وجل : « قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » (الحجرات : 56) .

7 - خلاصة الفكرة :

ومهما يكن من أمر ، فان الاخلاق القرآنية تربط بين الجانب الشكلى والمادى ، بحيث لا يمكن أن يستغنى أحدهما

عن الآخر ، ونعنى بذلك — النية الطيبة والعمل الصالح — فالاعمال الاخلاقية لا تحصر اذن فى جانب النية الطيبة فقط ، بل تتعداها الى العمل الصالح .

ولقد صدق من قال : « ان النية خير ، والعمل القائم على نية الخير خير وأرفع ، لأنه العمل الاخلاقى الكامل » (25) .

ومن الحق أن يقال : ان لنا فكرنا الاسلامى الاصيل المتميز على بقية المذاهب الاخلاقية فى الفكر الفلسفى قديما وحديثا ، وهو عدم الفصل بين الروح والمادة وبين النية والعمل وبين دوافع الفرد والمجتمع .

انطلاقا من هذه الادلة العقلية والنقلية الواضحة ، نستطيع أن نجزم بكل يقين أن التجزئة فى الاخلاق الاسلامية لا وجود لها بتاتا ؛ وثمة جانب آخر تجدر الاشارة اليه وهو ارتباط الايمان بالنية الخالصة ، وتجريدها من الرياء والمن والنفاق ، والسمعة ، لتصير أخلاقنا خالصة لابتغاء مرضاة الله عز وجل القائل فى حق دينه : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » (البينة : 5) .

فاذا حققنا هذه القيم الاخلاقية السامية الايمان — الاسلام — التقوى — الاحسان — النية الحسنة فى سلوكنا ، فلا شك أنه يصدق فينا قول الله عز وجل : « بلى من أسلم وجهه لله وهو

(25) محمد عبد الله دراز — دستور الاخلاق فى القرآن — ص 470 .

محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون «
(البقرة : 112) .

وبهذا تتحقق السعادة الكاملة التي لا تعرف الانشطارية
بين الانسان وفطرته ، وبين حاجاته المادية ونزعاته الروحية .
وأخيرا نقول : اننا قد سلطنا بعض الاضواء الكاشفة على
خصائص الاخلاق الاسلامية ، من حيث طبيعتها ومصادرها
وطريقة تكوينها وبيننا أنها تختلف عن الاخلاق المذهبية التي
أوجدها الانسان — ونحن سوف نناقش أصول هذه المذاهب
في الفصل القادم .

الفصل الثاني

الاخلاق في المذاهب المعاصرة

الاخلاق فى المدارس المعاصرة

المقدمة :

فى هذا الفصل سوف نتحدث عن المدارس والمذاهب المعاصرة التى انتشرت فى عالم اليوم . حيث أن لها أنصارها واتجاهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية ، غير أننا سوف نعالج الفكرة من الزاوية الاخلاقية .

وحتى نكون فكرة صحيحة ، عن أخلاق هذه المذاهب المعاصرة ، ومدى صحتها أو فسادها ، يجدر بنا أن نقدم لمحة خاطفة ، عن أسس فلسفتها ، لان الفكر الاخلاقى ، عند هذه المدارس - الماركسية البراجماتية - الوجودية ، يعد انعكاسا طبيعيا لمقولاتها الفلسفية ، وترتبط كل الارتباط بها .

ثم حرصنا على الشمول الذى يحتمله بحثنا هذا ، مع الوضوح والاعتماد على مصادر هذه المدارس ، حتى يحكم القارئ الكريم ، بنفسه ، واستبعدنا التحيز من حسابنا ، وبيننا مواطن القوة والضعف فى هذه المذاهب بالمنظور الاسلامى .

وأيا كان الامر ، فقد قلنا ان الاخلاق الاسلامية تستمد أصالتها من القرآن الكريم والحديث الشريف .

وهذه الاصاله لا تتغير بتغير المكان والزمان . ولكن بالرغم من هذا نقول : ان المدارس الاخلاقية المعاصرة ، قد تتفق مع النظرة الاسلاميه فى بعض اجزائها ، ولكنها فقدت النظرة الشمولية الكامله ، فهذه الخاصية لا ولن نجد لها سنداً فى الحضارة الانسانية وفى المدارس الاخلاقية المعاصرة مهما تعددت مصادرها واتجاهاتها .

ومن هنا لزم البدء بدراسة المدرسة الماركسية التى أمست اليوم تهيمن على الايديولوجية الحالية بدون منازع . ونحن نقوم بعرض ما قيل فيها ايجاباً وسلباً ، ثم نعقب عنها بالتقييم عن طبيعة فلسفتها الاخلاقية .

أ - الاخلاق الشيوعية :

1 - أسس الفلسفة الماركسية :

ان الاخلاق الماركسية هى انعكاس طبيعى للفلسفة المادية البحتة ، التى تنظر الى الوجود نظرة مادية خالصة سواء كانت ظواهر طبيعية أو ظواهر انسانية .

يقول ماركس (I) فى هذا المجال ما يلى : « ان طريقتى الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الاساس

(1) نسبة الى كارل ماركس (1818 - 1883) مؤسس الشيوعية العلمية القائمة على المادية الجدلية والتاريخية ، أهم كتبه : رأس المال ، بؤس الفلسفة ، نقد الاقتصاد السياسى . ان الشيوعية والماركسية والاشتراكية العلمية تطلق على مسمى واحد .

فحسب ، بل هى ضدها تماما ، فحركة : الفكر ، هذا الفكر الذى يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم الفكرة هى فى نظره ، خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع الا الشكل الحادث للفكرة . أما فى نظرى ، فعلى العكس ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة الى دماغ الانسان ومستقرة فيه « (كارل ماركس - رأس المال - المجلد الاول ، ص 29) .

ومن خلال هذا النص يتبين لنا (2) ، أن الماركسية لم تأخذ من الفيلسوف الالماني هيغل (3) سوى منهجه الجدلى ، وطرحته فكرته المثالية ، ثم وسعت فكرته الجدلية فطبقتها على الوقائع المادية والانسانية على السواء . ومعنى هذا أن الوجود كله خاضع للتطور المادى ، فلا شئ الا المادة فقط ، وان تطورات الحياة البشرية هى انعكاس طبيعى للنشاط المادى ، وجدليته (4) .

(2) الفكرة مأخوذة من كتابنا - القرآن ومذهب داروين ، مع تعديلها .
(3) هيغيل (1770 - 1831 م) فيلسوف ألماني يعتبر رائد الفكر الجدلى المثالى القائم على الفكرة المطلقة ، أهم كتبه : المنطق الكبير وموسوعة العلوم الفلسفية .

(4) المادية الجدلية : هى النظرة العامة للماركسية ، وتسمى بالمادية الديالكتيكية لان أسلوبها فى النظر الى حوادث الطبيعة تتميز بتماسك المتناقضات ووحدتها .

أما المادية التاريخية فتوسع نطاق مبادئ المادية الديالكتيكية فى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية ، وتطبق هذه المبادئ على حوادث الحياة الاجتماعية ، أى دراسة تاريخ الحضارات الانسانية .

2 - الاخلاق فى المذهب الماركسى :

أما بالنسبة الى الحياة النفسية والاخلاقية والاجتماعية هى انعكاس للظروف المادية والاقتصادية التى يحياها الفرد والمجتمع .

ولقد جاء فى المادية التاريخية ما يلى : « ولقد برهنت الماركسية وحدها على أن الاخلاق ليست شيئا ما مفروضا على المجتمع من الخارج وليست نتاجا - لطبيعة الانسان - . ان مصدر الاخلاق هو المجتمع والمصلحة الاجتماعية . وبما أن بنية المجتمع ومصلحه مشروطة بالنظام الاقتصادى ، وبالقاعدة ، فان الاخلاق هى أيضا تتحدد بالاقتصاد » (5) .

وهكذا ، فالمصلحة الاقتصادية هى التى تولد الاخلاق ، وتقوم على حمايتها باسم المثل الاخلاقية ، وهذه الاخلاق تعكس شريحة معينة من الناس الذين يدافعون عن مصالحهم المادية ، أما بالنسبة الى الضمير الخلقى فيرتد كذلك الى البيئة الاقتصادية التى تكيفه على حسب المجتمع الاقتصادى الذى ينتمى اليه الفرد .

يقول كارل ماركس موضحا فيما يلى : « ان نوع الانتاج للحياة المادية يكيف عملية الوجود الاجتماعى ، والسياسى ، والروحانى فى جملته . فضمير الناس لا يحدد كيانهم

(5) المادية التاريخية لكيلى وكوفالزون ، ترجمة أحمد داود ، ص 441 .

الاجتماعى ، ولكن كيانهم الاجتماعى هو الذى يحدد ضميرهم « (6) .

اذن فان الضمير يعبر عن الوضعية الاقتصادية التى يعيشها الفرد . ولكن الماركسية لم تقف عند هذا الحد ، فقد رأت كذلك أن الاديان السماوية ، ارتبطت بالاخلاق الطبقية فهذا الدين قد قيد المجتمع البشرى بأخلاق استغلالية وثبتها باسم الاله والكنيسة ، اذن هناك علاقة متبادلة بين الدين والاخلاق .

ولنتأمل رأى الماركسية فى هذه القضية ، تقول الماركسية :

« ان الاخلاق هى شكل من أشكال الوعى مستقل عن الدين ، الا أنها ارتبطت به ارتباطا وثيقا منذ نشوئه . وان الدين فى كل التشكيلات الطبقية المتناحرة لا يقدر على القيام بوظائفه الاجتماعية فى تبرير العلاقات الاجتماعية القائمة وتسليط الاضواء عليها ، اذا لم يحدد قواعد معينة لسلوك الناس . وهو يقوم بهذا فى تصويره للاخلاق السائدة فى المجتمع كقبس من الارادة الالهية ، كأخلاق دينية . ولذا فالدين يحتاج الى الاخلاق ويتضمنها فى داخله معتبرا أن الاخلاق لا يمكن أن تنفصل عن الدين ولا يمكن أن تقوم بدونه . وبالفعل فان الدين يلعب دورا كبيرا فى تقييد المجتمع بأخلاق الطبقة السائدة المستغلة ويدعمها باسم الاله والكنيسة .

(6) الربيع ميمون - نظرية القيم فى الفكر المعاصر - ص 190 .

وهكذا ، فيما أن الدين والاخلاق يخدمان مصالح الطبقات المستغلة ، فان كلا منهما بحاجة الى الآخر ويسانده « (7) .

3 - المبادئ الاساسية للاخلاق الشيوعية :

ليس من شك فى أن طبيعة الفلسفة الشيوعية تقوم أساسا بمحاربة الاخلاق الدينية محاربة شعواء ، بدعوى أنها جاءت لخدمة الطبقات البورجوازية المستغلة المتعفنة ، وهذه الاخلاق تناقض أخلاق الجماهير المضطهدة .

اذن فلا بد من استبدالها بالاخلاق الشيوعية الماركسية التى سوف تقضى على جميع مظاهر الاستغلال مهما كان نوعه ولكن هذه الاخلاق لا تتحقق الا عن طريق النضال الثورى لقلب الانظمة الرأسمالية ودعائها القائمة على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . فان حقق العمال هذه الثورة ، فسوف تتحقق بالتالى الاخلاق الشيوعية التى تحمل شعار الشيوعى (الفرد من أجل الجميع والجميع من أجل الفرد) . وهناك تتحقق كرامة العامل وحرية الكاملة .

فقد جاء فى المادية التاريخية ما يلى : « والماركسية - اللينينية » (8) ، ان تدحض الاخلاق البورجوازية ، تقيم

(7) نفس المصدر السابق ، ص 454 .

(8) نسبة الى فلاديمير ايليتش - أى لينين (1870 - 1924 م) مؤسس الدولة السوفيتية أهم آثاره : الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية - المادية والتجريبية النقدية تميزت اللينينية بالديكتاتورية والاشراف على الشؤون العامة عن طريق الديكتاتورية الفردية .

أخلاقا شيوعية جديدة تعبر عن مصالح البروليتاريا ، وهى
أسمى أخلاق للمجتمع المعاصر . وهذه الاخلاق تلائم قضايا
التطور الاجتماعى . وهى فى أساسها أخلاق انسانية عامة
للمجتمع المقبل .

وان النضال من أجل توطيد و اتمام بناء الشيوعية - هو
مصدر الاخلاق الشيوعية وأساس نشوئها وتطورها .

ان الاخلاق الشيوعية تربي الاخلاص للشيوعية والحب
للوطن الاشتراكى وللبلدان الاشتراكية .

وكطرف مناقض للاخلاق البورجوازية الفردية ، فان
الاخلاق هى أخلاق جماعية أى « الفرد من أجل الجميع والجميع
من أجل الفرد » (9) .

تلكم هى أهم المبادئ ، فى الاخلاق الشيوعية ، التى تلعب
الدور الحاسم فى الفكر الماركسى ، ويسعى الى تطبيقها فى
الحياة الاجتماعية الشيوعية عن طريق القنوات الثقافية التى
يهيمن عليها الحزب الشيوعى .

4 - تقييم ومناقشة الاخلاق الشيوعية :

ان التحليلات السابقة بينت لنا ، أن الاخلاق ليست الا
انعكاسا للمصلحة المادية ، وهى شكل من أشكال الوعى
الاجتماعى ، وبالتالي تعكس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية

(9) انظر : المادية التاريخية ، ص 459 .

وتعتبر تعبيرا صادقا عن طبيعة الطبقات الاجتماعية ، وأنها تساعد على توطيد وتبرير الملكية الخاصة المستغلة .

ان هذه الفكرة صحيحة بالنسبة الى المجتمعات الاقطاعية المتحالفة مع رجال الكنيسة ، الذين كانوا يدعمون هذه الملكية المستغلة . أما بالنسبة الى الاسلام فالامر يختلف ، بل كان ثورة على الملكية المستغلة ، ألم يقل الله عز وجل :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب آليم » (التوبة : 32) « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين » (هود : 85) وقال صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الاجير حقه قبل أن يجف عرقه » .

هكذا حرص الاسلام على توزيع الثروات ، ونهى عن احتكارها ، ثم طلب انصاف حق العامل واعطاء حقه كاملا دون بخس ولا ظلم فى حقوقه المشروعة .

وأيا كان الامر ، فان الماركسية وحدها قد برهنت على حسب زعمها ، أن الاخلاق كلها ليست الا انعكاسا للمصلحة المادية فقط . نحن نقول اننا لا يمكن أن نهمل هذا الجانب الخطير فى حياة الانسانية .

غير أن الاسلام قد ربط العامل الاقتصادى بالقيم الاخلاقية والاخلاق الاسلامية تشير الى هذه الحقيقة الفطرية بدون لبس والتى لا يمكن أن نتجاهلها كقول الله عز وجل : « فاذا قضيت

الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الجمعة : ١٥) .

« لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون »
(يس : ٣٥) .

اما الفكرة الاخرى القائلة ، بأن القيم الاخلاقية والمشاعر
الوجدانية فما هى الا انعكاس لوسائل الانتاج والحاجات
الاقتصادية عبر تاريخ البشرية لاشباع تلك الدوافع المادية
البحثة .

نحن لا نستطيع أن نجهل أو نتجاهل هذا العامل المادى على
الحياة الفردية والاجتماعية الا أن أثره يبقى نسبيا وليس
مطلقا .

يحسن أن نذكر هنا ، أن هناك حقائق أخلاقية ثابتة بحيث
تكون تلك القيم غاية فى حد ذاتها . فى بعض المواقف المرحية
التي يمر بها الانسان كقيمة الوفاء - والوفاء والتضحية فى
سبيل الوطن - والوالدين والاصدقاء .

هذه القيم تكون مجردة من المصلحة المادية ، بحيث تدفعنا
الى التضحية فى سبيل مثل عليا التي تتعدى العامل المادى .

وحسبنا دليلا على ذلك ، دعوة الاسلام الاولى فقد كان
المجاهدون الاوائل ضحوا بكل شئ - الاهل - والاولاد والمتاع
فى سبيل نصره الفكرة الدينية الجديدة التي حملها رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فهؤلاء قدموا ارواحهم وما

يملكون رخيصة ازاء الدين الجديد ولم يكن هدفهم أبدا تحقيق المصالح الاقتصادية على حسب رأى الماركسية .

ان هذه الحقيقة التاريخية الاسلامية التى ذكرناها هنا، لن نجد لها سنداً أو تفسيراً عند المدرسة الماركسية ، فهذه الحقيقة التاريخية كافية أن تدحض وتخلق فجوة فى المادية التاريخية وأسس الماركسية حول مفهوم الاخلاق .

يقول أنور الجندى : « ومن هنا تعجز مقاييس التفسير المادى للتاريخ ، أو التفسير الاقتصادى للتاريخ أن تحيط بذلك كله ، وأن تعرف الفرق بين هذه القيم المعنوية التى لا تقاس بالمقاييس المحسوسة .

ان المقاييس المادية والاقتصادية لتعجز أن تفسر كيف يبكى العائدون من الغزوات ، لانهم لم يستشهدوا ولا الذين لقوا آباءهم فى صفوف الكفار فقتلوهم ، ولا الذين هاجروا وتركوا أموالهم وأولادهم ، واستأنفوا حياتهم فى المدينة بدينار اقترضوه » (10) .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا أن الماركسية ترى أن الاخلاق الانسانية المثالية لا وجود لها الا فى المجتمع الشيوعى . ولنتأمل هذه الفقرة التالية : « ان الاخلاق الشيوعية انسانية بكليتها . ان المجموعة الخلقية الشيوعية تعلن عن العلاقات الانسانية والاحترام المتبادل بين الناس : الانسان صديق

(10) أنور الجندى - شبهات التغريب - ص 260 .

ورفيق وأخ للانسان . وهذا الجانب من الاخلاق الشيوعية يعكس الطبيعة الانسانية للمجتمع الاشتراكى « (II) .

ان الناقد حين يتأمل هذه الفقرة ، يدرك أنها تحمل مغالطة منطقية وتاريخية . ان المجتمع الشيوعى بالمفهوم الماركسى لا ولن يوجد طالما الانسان هو الانسان بدوافعه وغرائزه ، وتطلعاته المستقبلية - لان كل شىء سيخلق نقيضه بالضرورة كما تؤكد الماركسية نفسها هذه الحقيقة - مع العلم أنها تؤكد وتقر على فكرة التطور والتناقض فى كل شىء سواء كانت وقائع مادية أو انسانية .

والجدير بالذكر أن المجتمع الشيوعى اليوم ، قد أفرز ، وأثبت التناقضات الواضحة ، بين الطبقتين - الحاكمة والمحكومة - فظهرت أخلاقيات الحزب الحاكم وامتيازاته (I2)، وتكونت حوله هالات التقديس والعصمة والطاعة العمياء ، ألم يعلن المفكر دجيلاس أن هناك تفاوتاً فى الدخل الفردى بين الشعب وحكامه ؟ أى الاطارات العليا فى الحزب والدولة . ويرى أن هذه الطبقة تلتجئ الى جميع وسائل الارهاب والترغيب للمحافظة على السلطة .

(11) المادية التاريخية ، ص 462 .

(12) ان هناك تفاوتاً خطيراً فى الدخل الفردى فى الدولة الشيوعية فهذا التفاوت يتراوح بين الواحد والعشرة أى بين 600 روبل و 6000

روبل .

راجع : محمد سعيد رمضان البوطى ، نقض أوهام المادية الجدلية

ص 255 .

ويحسن أن نذكر هنا ما كتبه تالانتوف أحد الكتاب الروس سنة 1968 م ، مبينا هذه الحقيقة قائلا : « ان موقع الضعف فى الحزب الشيوعى السوفياتى يكمن فى أن جماهير الشعب الواسعة لم تعد تقبل الايديولوجية الرسمية كما هى معروضة ، بحيث أن هذه الايديولوجية باتت تفرض بوسائل القمع . لم تعد فكرة الفردوس الشيوعى تجذب الناس الذين باتوا يرددون : ان الشيوعيين يخدعوننا بفردوس أرضى يعدوننا به للمستقبل عندما يكون قد طوانا الزمن ، بينما هم يجهدون لبناء فردوس خاص بهم فى الوقت الراهن » (13) .

وكيفما كان تقييم الاخلاق الشيوعية . فانها تبقى فى جذورها نظريات جوفاء تتناقض مع حرية التعبير والنشر وحرية الوجدان وممارسة العبادة الدينية .

وفضلا عن ذلك فان هذه الاخلاق تلتجئ الى المبدأ المكيافلى (14) للوصول الى الحكم بأى ثمن وبأية طريقة مشروعة أو غير مشروعة لفرض سلطتها .

ولنترك أبا الشيوعية لينين يوضح لنا فكرته فيقول : « ان من الضرورى أن نكون قادرين ... للجوء الى جميع أنواع الحيل والمناورات والاساليب غير المشروعة ، والى

(13) سعيد الغانم - أدب الرفض السوفياتى ، ص 42 .

(14) نسبة الى العالم الايطالى - مكيافيل (1469 - 1571 م) ولقد اهتم بدراسة المجتمع الايطالى من الناحية السياسية والتاريخية ، فتوصل الى نظريته المشهورة - الغاية تبرر الوسيلة - أى ان الانسان يستعمل وسائل الغدر والنفاق للوصول الى الحكم بأية طريقة .

المراوغة والتحايل ، من أجل النفاذ الى نقابات العمال والبقاء فيها، والاستمرار بالعمل الشيوعى في داخلها بأى ثمن» (15).

ان هذه الفقرة التى استشهدنا بها كافية أن تبين لنا مدى ارتباط الاخلاق الشيوعية بمبدأ الفكرة القائلة : بان الاخلاق تعد رذائل فى المجال السياسى ، وبالفعل ان هذه الفكرة قد تجسدت فى الحكم الشيوعى ، حيث تستر وراء الشعارات العاطفية التمويهية - كحرية التعبير والمعارضة والنقد والاجتماع - الخ .

الا أن الوقائع التاريخية كذبت هذا الادعاء فالسلطة الشيوعية قد سحقت مظاهر المعارضة والنقد سحقا عنيفا ، فهى لا تقبل حرية الرأى ولا الرفض الجزئى لفلسفتها .

يقول غريغورينكو فى هذا الامر : « لا يملك نوابنا أية سلطة حقيقية أو حتى حق الكلام . يتاح لهم هذا الحق فقط عند الموافقة على السياسات والنشاطات العملية لجماعة من الحكام جرى الاتفاق فيما بينهم على كل شئ » (16) .

فى ضوء هذه الوقائع ، يتأكد لنا أن الاخلاق الشيوعية ، تريد أن تسخر الانسان تسخيرا كليا لماديتها التاريخية المرتبط بعجلة الاقتصاد وتطوره . الا أن هذه الفكرة تتناقض

(15) ليون تروتسكى وجون ديوى وجورج نوباك - أخلاقهم وأخلاقنا - ص 53 .

(16) سعيد الغانم - أدب الرفض السوفياتى ، ص 48 .

مع الاخلاق الاسلامية التى تقرر أن الموارد الاقتصادية تكون مسخرة لخدمة الانسان وليس العكس .

ولقد وضع هذه الصورة الاسلامية الاستاذ محمد قطب فيقول : « ومن هنا تهتم العقلية الاسلامية بالقيم الاخرى - غير الاقتصادية وخاصة القيم الخلقية ، لايمانها بأن فى الحياة قيما غير اقتصادية فى جوهرها ، وأنها تحتاج الى مجهود ايجابى لتنظيمها لا يقل عن المجهود الموجه لتنظيم الاقتصاد . وتهتم بايجاد صلة دائمة بين العبد والرب ، لان هذه هى الوسيلة المثلى لتثبيت القيم الخلقية ، ورفع الناس من عالم الضرورة وما يدور فيه من خصومات وأحقاد ، الى عالم طليق يغلب فيه أخير والمودة » (17) .

ومهما يكن من أمر ، فان الاخلاق الشيوعية تؤكد وتصر على العامل الاقتصادى الذى تقوم عليه القيم الخلقية . أما العوامل الاخرى المتمثلة فى القيم الدينية والروحية والعاطفية لا تعير لها أى اهتمام ، مهما بلغت حرية خطورتها فى تاريخ الحضارات الانسانية .

ومن هذا المنطلق المادى ، ترى الماركسية أن الاخلاق المرتبطة بالاديان السماوية لا تقوم على المعرفة العلمية القابلة للبرهان وهى بالتالى خارجة عن المنهج الماركسى . ولذا يستحيل ادراك وفهم البنيات الاجتماعية ووعياها وقيم خلقها

(17) محمد قطب - شبهات حول الاسلام - ص 288 .

الا من خلال المادية التاريخية التى تكشف لنا ، أسس المجتمعات البشرية المختلفة الاطوار فى ثقافتها وأخلاقها ودينها .

وفى اطار هذا المناخ الالحادى ، فان ماركس يقول :
« الدين انعكاس لشقاء فعلى واحتجاج على هذا الشقاء » (18) .

وهكذا يزعم ماركس أن الدين خديعة اصطنعها المستبدون لاستغلال الطبقة العاملة ، وأن الدين فى جوهره انعكاس واحتجاج فعلى للوضع التى يعيشها الانسان المستغل .

فهنا تبرر الشيوعية المقولة المشهورة - الدين أفيون الشعوب - .

والواقع أن هذه المقولة تعبر تعبيراً صادقاً لمن يستغل الدين ويعرفه لاجل تحقيق الاهداف الدنيئة والمحافظة على متاع الدنيا .

ثم ان ماركس قد أعرب ، وأظهر الحالة الحقيقية التى كان يعيشها العمال تحت الاقطاع . ولقد كان رجال الكنيسة يباركون الحكم الاقطاعى ويساندونه ويحافظون على امتيازاته باسم الدين .

وكل ثورة على الاقطاع ورجال الكنيسة تعد فى نظر الكنيسة خروجاً عن السلطة الالهية .

(18) روجيه غارودى - ترجمة نريه الحكيم - ماركسية القرن العشرين ، ص 145 .

يقول القديس أوغسطين : « ان الله قد أدخل الرق في العالم كعقاب على الخطيئة ، وسيكون تمردا على ارادته أن يحاول الغاء هذا الرق » (I8م) .

وهكذا نلاحظ من خلال هذه الفكرة أن الكنيسة كانت دوما بجانب التفاوت الطبقي وتسانده ، وتدعمه باسم السلطة الالهية .

وهكذا أمست الكنيسة المسيحية مخدرة الشعب وهنا تصدق المقولة المشهورة - الدين أفيون الشعب - بالنسبة لكل سلطة تريد تحريف الدين عن منهجه المستقيم سواء كان الامر يتعلق بالمسيحية أو الدين الاسلامي . ولنتأمل قوله تعالى : « أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (البقرة : 75) .

وكان لزاما علينا أن نقول : ان المقولة الماركسية التي ذكرت من قبل ، لا تصدق مع تاريخ الاديان ، بل تتناقض تناقضا صارخا مع التاريخ الاسلامي الثوري فالدين الاسلامي الاصيل الذي لم يحرف عن مبادئه الخلقية السامية ، كان دوما وسيبقى ثورة على الظلم ، ثورة على التفاوت الطبقي والعرقى والسلطة الجائرة .

(I8م) نفس المصدر السابق ، ص 146 .

فالناس سواسية أمام عدالة الاسلام . لا تعرف التمييز بين الحاكم والمحكوم ، ولنسمع فى ذلك الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة حجة الوداع قائلا : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم . وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » .

ولنتأمل كذلك قول أبى بكر الصديق حين أخذ البيعة فى المسجد من المسلمين فقال : « أيها الناس : انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان صدفت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » (19) .

وكان لزاما علينا أن نوضح هذه الحقيقة حتى لا نخلط بين الاسلام الاصيل القائم على الكتاب والسنة واسلام اليوم القائم على أسس وضعية فى تشريعاته .

ومن هنا نقول : ان الاسلام العملى لن ولا يكون مخدرا للشعوب ، بل يحمل قيما خلقية ثورية تكافح جميع ألوان الظلم والاستبداد بدءا من سلوك الفرد الى سلوك الانسانية برمتها .

ومهما يكن من أمر ، فان هذه الاخلاق تسمتد قوتها ونورها من ايمان المسلم الذى هو الاساس للحياة الاسلامية .

(19) على ابراهيم حسن - التاريخ الاسلامى العام - ص 209 .

ويحسن أن نذكر هنا ، أن دوافع الانسان تجعله بالضرورة يؤمن بفكرة ما ، فيدافع عنها سواء كانت سماوية أو انسانية . وهذه الفكرة يجسمها الايمان القائم على التسليم والتصديق بالقلب دون أن يؤيده أو يكذبه برهان حسي أو عقلي .

انطلاقاً من هذا المفهوم ، نجد الماركسية ذاتها تجعل فكرة الايمان قائمة في مقولاتها الايديولوجية ، وتدافع عنها بدون هوادة . مع العلم أنها تتنكر وتهاجم هذه الحقيقة في الاديان السماوية ، بدعوى أنها لا تقوم على أساس علمي خالص ، ويعد هذا التفسير في نظرنا مغالطة واضحة .

ولقد جاء في الموسوعة الفلسفة السوفياتية — ص 70 — ما يلي : « الايمان — ادراك شيء ما على أنه صادق دون برهان » .

ورغم هذا التعريف الذي قدمته ، نلاحظ أنها تقحم فكرة الايمان في ماديتها الجدلية والتاريخية .

وحسبنا دليلاً على ذلك ما كتبه ياخوت وبودوستنيك فيقولان ما يلي : « ان المادية الديالكتيكية ، النظرة العلمية الى العالم ، تربي الايمان الراسخ بحتمية انتصار الاشتراكية في العالم أجمع . وهذا الايمان ليس عديم المبالاة ، ليس سلبياً . ان هذا الايمان ينبثق من المعرفة العميقة للقوانين العامة للتطور الاجتماعي ، التي اكتشفتها الماركسية اللينينية » (20) .

(20) عرض موجز للمادية الديالكتيكية ، ص 189 .

من خلال هذا النص ، يتأكد لنا ، أن الفكر البشري لا ولن يستغنى عن الايمان لبناء فلسفة ما ، لتستقيم أسسها ، وفضلا عن ذلك فإن المذهب الماركسى يجعل حتميته آتية لا مناص منها .

وعلى أى حال فإن الفكر الشيوعى ، أراد أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير وهذا الخير تمثله القيم الاخلاقية الاسلامية المبنية على الايمان - والاسلام والتقوى والاحسان - والنية الطيبة .

ان هذه الخصائص التى ذكرت هنا ، تتناقض تناقضا صارخا مع الاخلاق الشيوعية القائمة على الازدواجية والتجارب المتبدلة المتغيرة فلا تعرف معنى المعطيات الثابتة فى النفس الانسانية وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (الانعام : 115) .

وبعد هذا التقييم الذى قدمناه بالمنظور الاسلامى ، نستطيع الآن أن نستعرض اتجاهها أخلاقيا آخر تمثله المدرسة الليبرالية .

ب - الاخلاق البراجماتية - الليبرالية الرأسمالية :

لقد بينا فى الفصل السابق ، طبيعة الاخلاق الشيوعية التى انطلقت منها ، حيث ترى أن الاخلاق الانسانية المثالية لا يمكن أن تتحقق الا فى المجتمعات الشيوعية فقط .

الا أن هذا المجتمع الشيوعى لا يتحقق الا من خلال النضال المستمر ضد التحكم الطبقي واستغلال الطبيعة .

يقول جورج نوفال : « لقد بين تروتسكى (21) أن أعلى غايات العمل الاشتراكى هي زيادة سيطرة الانسان على الطبيعة ، والغاء سيطرة الانسان على الانسان - القهر الاجتماعى نتيجة لذلك . وقد اعتبر ديوى (22) أيضا أن هذه الاهداف هي الاشد جدارة من سواها . ويوضح تروتسكى أكثر من ذلك أن جميع هذه الوسائل التى أسهمت فى تحقيق هذه الاهداف ، مبررة وحتى الآن لا يوجد اتفاق بين الماركسى والذرائعى » (23) .

ومن خلال هذا النص يتبين لنا ، أن الاخلاق الماركسية تختلف عن البراجماتية التى ترى أن الصراع الطبقي لا يمكن أن يكون مبررا لتحقيق القيم الاخلاقية ، ما دامت أخضعت الغايات لوسائل معينة بدلا من أن يسمح للغايات بأن تحدد وسائلها ، ما دام الانسان من طبيعته يسعى الى تحقيق منفعته الخاصة .

(21) تروتسكى (1879 - 1940 م) زعيم شيوعى متطرف ، أهم آثاره : دفاع عن الارهاب .

(22) جون ديوى (1859 - 1952 م) زعيم من زعماء النزعة البراجماتية ، كان شديد الايمان بالديمقراطية والمذهب العملى الناجح ، أهم آثاره : مبادئ علم النفس - التجديد فى الفلسفة .

(23) الذرائعى : النفعى .

راجع : كتاب - أخلاقهم وأخلاقنا - ص 103 .

1 - أسس المذهب البراجماتي :

ان وليام جيمس (24)، يعد أحد أقطاب المدرسة البراجماتية فهو يرى أن الافكار الصحيحة هي التي تؤدي بنا الى النجاح وتحقيق المنفعة فى دنيا الواقع . أما الافكار التي لا تحقق منفعة فلا معنى لها .

ولقد حدد وليام جيمس أسس مذهبه بما يلى : على أن نظرة الى تاريخ الفكرة كفيلة بأن تزيدكم ايضاحا عما تعنى البراجماتية .

ان اللفظ مشتق من نفس الكلمة اليونانية بمعنى العمل، التي تؤخذ منها كلمتا مزاولة وعملى .

ان البراجماتية تفك جمود كل نظرياتنا وتلينها وتحيل يابسها وجسوعها الى طراوة وغضاضة ، وتمرس كل واحدة منها على العمل . ولكونها ليست جديدا جوهريا ، فهي تتناغم مع كثير من الاتجاهات الفلسفية القديمة .

فهي تتفق مثلا ، مع مذهب الاسمية فى كونها تلجأ دائما للاصطفائية فى التفاصيل الجزئية ، وتتفق مع مذهب النفعية فى توكيدها للنواحي العملية ، وتتفق مع الفلسفة الوضعية

(24) وليام جيمس (1842 - 1910 م) يعد من أساطين المدرسة العملية الأمريكية التي تجعل النجاح مقياس الحقيقة ، أهم آثاره : البراجماتية ارادة الاعتقاد - مبادئ علم النفس .

فى ازدرائها للحلول الكلامية والاسئلة العديمة الجدوى
والتجريدات المتافيزيقية » (25) .

وتم فان النظريات تصبح أدوات ووسائل لا حلولاً لألغاز
ولا اجابات عن أحجية ، نستطيع أن نسكرن اليها ونخلد . اننا
عندئذ لا نضطجع عليها ، وانما نتحرك الى الامام ونمضى
قديما ، وعند الاقتضاء نعيد صنع الطبيعة ثانية بعونها (26) .

وهكذا نستطيع اذن أن نقول : ان هذه المدرسة تعبر عن
النظرة القائلة بأن النظريات والافكار مهما كانت طبيعتها
تصبح أدوات ووسائل لتحقيق فائدة عملية لا نظرية .

ان الافكار تقاس بمقدار فائدتها فقط ، لا لانها صحيحة
فى ذاتها أو أنها تتطابق مع الحقيقة الفكرية أو التجريبية
ولذا أخذت فلسفتها من جميع المذاهب الفكرية طالما فيها
فائدة عملية فى دنيا الواقع .

ولهذا نلاحظ تشابها قويا بين الفلسفة البراغماتية
والفلسفة السفسطائية بزعامة بروتاغوراس (27) الفيلسوف
اليونانى القائل : بأن الانسان مقياس جميع الاشياء ، ومعنى
هذا أن الحقيقة تدرك من خلال نظرة الفرد التى تدفعه

(25) وليام جيمس - ترجمة محمد على العريان البراجماتية - ص 74 .

(26) نفس المصدر ، ص 74 .

(27) بروتاغوراس (481 - 411 ق م) فيلسوف يونانى ، صاحب نزعة
شكية مطلقة .

لتحقيق منفعة مادية ، وتمسى حينئذ الحقائق نسبية على حسب الوضعية التى يكون فيها الانسان .

وهذه الفكرة نجدها واضحة أشد الوضوح فى فكر وليام جيمس حيث يقول : والواقع أنه ليس فى استطاعة أى فرد كائناً من كان أن يركب الحقيقة على مختلف صورها ، لان للحقيقة من الالوجه أكثر مما قد نتوهم . وحسبنا أن ننظر الى الحقيقة الواقعة لكى نتحقق من أن هناك من الصور أو الانحاء بقدر ما هنالك من أفراد . فلكل فرد طريقة فى النظر الى العالم ، ولا بد من دراسة تلك التجارب المختلفة فى شتى صورها (28) .

ان هذه التوطئة ، تجرنا الى استعراض وجهة نظر وليام جيمس فى الاخلاق .

2 - الاخلاق فى المذهب البراجماتية :

مما لا شك فيه ، أن القيم الاخلاقية البراجماتية هى انعكاس طبيعى لاسس مقولاتها التى تنطلق منها .

ومن هنا ترى أن الاخلاق لا وجود لها الا فى المجتمع البشرى ، لأن الانسان هو الكائن الوحيد الذى ينشد المعايير الخلقية ، الا أن هذه المعايير لا يمكن أن تكون ثابتة ومطلقة ، فهى تابعة من ذات الانسان ذاته . ومعنى هذا أصبح الانسان

(28) زكريا ابراهيم - دراسات فى الفلسفة المعاصرة - الجزء الاول ، ص 31

مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، وبالتالي أمست القيم الخلقية نسبية بالنسبة الى الانسان .

يقول وليام جيمس : ان الانسان هو الخالق الوحيد للقيم فى ذلك العالم وليس للاشياء من قيمة خلقية الا باعتباره هو (29) .

فهكذا نلاحظ أن وليام جيمس ، لا يقر بالقيم المطلقة الصالحة فى كل مكان وزمان ، بحيث تتعدى المصلحة الذاتية والاجماعية .

فهذه الخاصية هى التى يقرها العقل بغض النظر عن الوضعية التى يكون فيها الانسان . فهذه الاخلاق التى يختارها الانسان يشترط أن لا تتناقض مع العرف والعادات الاجتماعية ولو كانت سيئة .

يقول جيمس : ان الآراء الذائعة حق وان القانون المعيارى الحق هو ما يعتقده الرأى العام ، ومن حماقة لكثير منا أن يحاولوا التجديد فى الاخلاق (30) .

ثم يحاول جيمس بعد ذلك أن يشد الاخلاق بالدين لتكون تلك القيم قائمة على أساس قوى . فيقول : ان العالم الخلقى المستقى المنظم الذى يبحث عنه الفيلسوف الخلقى لا يمكن أن يوجد كاملا الا حيث توجد قوة مقدسة . لذلك ينبغى

(29) وليام جيمس - محمود زيدان - ص 182 .

(30) نفس المصدر ، ص 183 .

علينا كفلاسفة - ومن أجل تحقيق غاياتنا من ايجاد نطاق خلقى واحد : أن نفترض وجود الله (31) .

وأيا كان الامر فان الاخلاق البراجماتية تنظر الى الدين نظرة نفعية خالصة ، ما دامت تحقق الخير للناس . وهى لا تعير أى اهتمام للجانب التطبيقى ما دام هذا الدين قائما على الاختيار العاطفى . فهذا الاختيار كاف فى تعليل الخير الاخلاقى .

ورب سائل يتساءل كيف يمكننا أن نحقق هذا الخير الخلقى ؟ فان جون ديوى (32) يرى أن هذا الخير الخلقى لا يمكن أن يتحقق ويوجد الا اذا كان هناك نقص وشر فى السلوك الاخلاقى الذى يجب معالجته ، ثم ان وظيفة الاخلاق الجوهرية ، تنحصر فى بيان الثغرات والمصاعب التى تعترضنا نحو تحقيق ضروب الخير الاخلاقى .

يقول جون ديوى : « لا توجد ضروب الخير الاخلاقى وأهدافه ، الا عندما يكون ثمة شئ يجب أن يعمل . ووجود شئ يجب أن يعمل ، دليل اذن على وجود نقص ما أو شر فى الموقف الحاضر تجب معالجته . فحاجتنا فى الاخلاق انما هى حاجة الى طرق للبحث نوعية خاصة : طرق تؤدى الى تحديد مواطن المصاعب التى نواجهها والمساوئ والشرور التى

(31) نفس المصدر السابق ، ص 183 .

(32) انظر حياته فى مقدمة هذا الباب .

نصادفها - طرق تيسر لنا وضع خطط نستخدمها بادىء الامر على شكل نظريات أو فروض للعمل فى معالجة هذه المصاعب وتلك المساوئ والشور « (33) .

ومن هذا النص ، يتبين لنا أن الاخلاق البراجماتية عند جون ديوى ، تقوم على أساس الكشف عن طبيعة الشر ومعالجته لاستكشاف الخير اللازم فى المواقف التى تتطلبها الانسانية فى قيمها الخلقية كالعدالة ، والشجاعة ، واتقان العمل ، فهى تعد فى أمرها أدوات للوصول الى الموقف الاخلاقى الخاص .

فهكذا يكون الخير فى المذهب البراجماتى هو كل ما يحقق منفعة مادية ، وبعبدا عن الاخلاق المثالية والنظريات الكلية الجامدة التى لا تساعدنا فى معالجة الشور الاخلاقية المرتبطة بسلوكنا العام .

3 - تقييم ومناقشة الاخلاق البراجماتية :

ليس فى استطاعتنا ، أن نستعرض هنا جميع الافكار الفلسفية البراجماتية بالتفصيل ، ولكن حسبنا أن نقول : ان المذهب البراجماتى هو مرآة كاشفة للمجتمع الأمريكى الذى يمجّد الفرد والثروة ، والنجاح العملى .

وهكذا نلاحظ أن هناك ارتباطا عضويا بين القيم الاخلاقية والافكار العلمية والسياسية والاقتصادية ما دامت

(33) جون ديوى - تجديد فى الفلسفة - ص 278 - 280 .

الفكرة تحقق فائدة عملية ، فالفكرة الصحيحة تقاس بمقدار
الوظيفة التى تؤدى بنا الى النجاح فى الحياة الفردية
والاجتماعية .

نحن نقول فى هذا المضمار : ان فكرتهم تكون صائبة
ومقبولة لو كانت محصورة فى المجال العلمى التجريبي . الا
أن هذه المدرسة ، تريد أن تجعلها شاملة وعامة لجميع المعارف
والافكار مهما تنوعت مصادرها ، لا سيما فى المجال الاخلاقى .

وهذا سوف يؤدى بنا حتما الى تبرير وتسويغ تلك الافكار
والقيم ما دامت تحقق المنفعة ، ومعنى هذا أن الانسان أمسى
مقياسا للحقيقة التى ينطلق منها ، وبالتالي سوف يتحقق المبدأ
المكيافلي - الغاية تبرر الوسيلة .

وذلك بقلب نظام القيم الخلقية على حسب رغبة الفرد أو
الامة أو الدولة ، وفى هذه الحالة سوف يؤدى بنا الامر الى
تبرير نظام العلاقات الاقتصادية الاستغلالية التى يفرضها
الخصم . لان الاخلاق السيئة - كالكذب والنفاق والتزوير
والخطأ ، قد تؤدى الى نتائج نافعة على حسب هوى الانسان ،
فهذا يتنافى مع صدق القيم الاخلاقية .

ثم يوجد هناك خطأ منطقي فى هذه الاخلاق البراجماتية
لانها وصفت النجاح بالاخلاقية . ولكن هذا النجاح فى
حقيقة أمره نسبي ، مثال ذلك حصول طبقة معينة على نجاح
معين قد يكون على حساب حقوق الغير ، سواء كان فردا أو

أمة كاملة ، كما هو الشأن بالنسبة الى النظامين الرأسمالى والشيوعى اللذين يستغلان الدول النامية باسم التقدم الحضارى والافكار التقدمية .

ان هذه الحالة التبريرية الاستغلالية تتناقض تماما مع أخلاق القرآن الكريم ، التى تدعو الى الالتزام بالعدالة المطلقة والامانة ، ولو على أنفسنا ، والله عز وجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (النساء : 135) .

أما بالنسبة للفكرة القائلة بأن البراجماتية تدعو الى تقويض المذاهب المثالية والدعوة الى المجال العملى الناجح ، فهذه الفكرة ليست جديدة بالنسبة إلينا .

ان الاسلام قد سبق هذه المدرسة . ولنسمع فى ذلك الى قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين » (العنكبوت : 9) .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » (الرعد : 17) .

أما بالنسبة الى القضية الاخيرة فنعنى بها الشر . فالشر موجود ، ولا يمكن لاي انسان منصف أن يقول : ان الشر غير موجود وهو يتجلى فى نقصان كل شئ عن كماله مثل : الامراض - والتشويه فى الخلقة والرذيلة - والجهل الخ ..

فهذه الصفة الشريفة تتناقض مع الصفة الخيرية المتجلية
فى الشئ الذى بلغ كماله النسبى مثل : الصحة والفضيلة ،
والعلم الخ ..

يقول ابن سينا : ان الشر ضرورى لانه خير الغير كسقوط
الامطار الغزيرة جدا ، فقد تقتل بعض الحيوانات ، فهذا شر
بالنسبة لصاحب الحيوانات ، وقد يكون فى الوقت ذاته نعيما
للكثير من الافراد الذين ينتظرون هذه الامطار بفارغ صبر
لا سيما اذا كان الجفاف حادا . فهكذا يكون الشر عرضيا فقط
لان ما يبدو شرا انما هو خير فى النظام العام للكون .

وأيا كان الامر فان الاخلاق الاسلامية قد سبقت الاخلاق
البراجماتية فى هذا المجال ، حيث ترى أن للشر ذاتية
موجودة فى الحياة ازاء الخير .

ولا جرم أن الاخلاق الاسلامية قد أشارت الى الصفة
الشريفة فى الانسان . وفى ذلك يقول القرآن الكريم :
« قل أعوذ برب الفلق - من شر ما خلق - ومن شر غاسق اذا
وقب - ومن شر النفاثات فى العقد - ومن شر حاسد اذا حسد »
(الفلق : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥) .

من هذا النص القرآنى يتضح لنا أن الشر موجود فى
نفوسنا وفى نفوس الآخرين . وعلينا بمحاربته والتغلب
عليه . ثم الالتجاء الى الله والاهتداء الى الخير العام ، ولنتأمل
قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » (الحج : ٧٧) .

ومهما يكن من أمر فإن طبيعة الانسان تتردد بين الحق والباطل وبين الخير والشر . وهذا يعود الى حرية ارادته التي ميزته على سائر الكائنات الموجودة فى عالمنا هذا ، وهذه الحرية ستكون المحور الجوهرى فى الفلسفة الوجودية التى سوف نعالجها فى الفصل القادم بحول الله .

ج - الاخلاق الوجودية :

نحن نعتقد أن الفكر الوجودى ، لم يعد غريبا وبعيدا فى ثقافتنا العامة ، لأن الفكر الوجودى قد حظى بالدراسة والتحليل والترجمة من قبل الباحثين العرب ، لا سيما آثار سارتر (34) الذى يعد زعيما للفلسفة الوجودية الملحدة .

1 - أسس الفلسفة الوجودية :

ما المقصود بالوجودية (35) ؟

(34) جون بول سارتر (1905 - 1980 م) فيلسوف فرنسى ذو نزعة وجودية ملحدة ، أهم كتبه : الوجود والعلم - نظرية الانفعالات - الوجودية مذهب انساني .

(35) ان المدرسة الوجودية تنقسم الى قسمين :

1) الوجودية المؤمنة بزعماء كيركجارد وهو يرى أن القلق الانساني لا يمكن أن يزول الا بالايمان بالله .

2) الوجودية الملحدة بزعماء هيدجر وسارتر ، حيث ترى أن الانسان هو الحرية المطلقة ، وتترتب عنها قلق الانسان ازاء مشاكل الحياة - والحد المشترك بين الشعبتين أن وجود الانسان أسبق من ماهيته ، ولهذا يختار مصيره بنفسه .

ان الفلسفة الوجودية تؤكد على أن وجود الانسان متقدم على ماهيته بحيث يصبح الفرد يحقق ذاته بمحض حريته ، انطلاقا من واقعه العيني الملموس ، ومن تجاربه المباشرة ، بحيث يعى وجوده ويرضى بالمصير الذى اختاره بمحض حريته الهادفة الى انقاذ شخصيته من الحتميات والضغوط الاجتماعية والاقتصادية والدينية والاخلاقية . هذه الحتميات تعد عند الوجوديين حواجز لا بد من رفضها وتجاوزها ، لانها تتناقض مع حرية الانسان الوجودى . فالاختيار ضرورى ، حتى اذا رفضنا حريتنا فاننا أحرار فى هذا الرفض . لان الانسان هو الحرية فى الفكر الوجودى . ولا معنى للوجود بدون حريتنا ، لانها العلامة الفاصلة بين عالم الانسان وعالم اللا انسان الذى يفقد هذه الخاصية الجوهرية - أى عالم الجماد والحيوان -

يقول سارتر فى هذا الشأن : ان الانسان ليس انسانا الا بحريته ، فالحرية يصح اعتبارها تعريفا للانسان . واننا اذ نريد أن نجعل حريتنا هدفا نسعى اليه لا يسعنا الا أن نعتبر حرية الآخرين هدفا هو أيضا نسعى اليه (36) .

تلكم هى الخطوط العريضة فى مفهوم أسس الفلسفة الوجودية .

(36) جان بول سارتر - الوجودية مذهب انسانى ، ص 82 .

2 - الاخلاق الوجودية :

ان أول سؤال يتبادر الى ذهن القارئ هنا ما هو موقف المدرسة الوجودية ازاء القيم الاخلاقية - اذا كان الانسان ليس انسانا الا بحريته - ولذا تصبح هذه الحرية فى المنظور الوجودى هى الاساس الوحيد والاول لجميع القيم الاخلاقية .

يقول ساتر : « وعامل الخلق والاختراع هذا هو الصفة البارزة فى ميدان الاخلاق .

فنحن لا نستطيع أن نقرر بصورة ايحائية ما علينا أن نفعله ، واعتقد اننى قد شرحت ذلك بما فيه الكفاية عندما ذكرت مثل ذلك الطالب الذى جاء يطلب مشورتى والذى كان باتت طاعته أن يتجه نحو جميع النظريات الاخلاقية دون أن ينتظر أدنى بصيص نور أو هداية ، فأصبح مضطرا أن يخلق قانونا لنفسه بنفسه ، فانه ان اختار البقاء الى جانب أمه بدافع المحبة والمصلحة العاطفية ، أو الذهاب الى الحرب فى انكلترا فانه لا يكون قد أتى على أى حال عملا لا قيمة له .

ان الانسان يختار أخلاقه .

ان الانسان ليس كائنا تام التكوين بل كائن يتكون ، وهو يتكون باختيار لنوع أخلاقه ، وان ضغط الظروف المحيطة به قوى لدرجة لا يستطيع معها الا أن يختار » (37) .

(37) المصدر السابق ، ص 78 - 79 .

وأيا كان الامر فان هذا النص يجعلنا نقف على موقف سارتر الاساسى القائل بأن القيم الاخلاقية هى من صنع الانسان ، لا تعود الى السلطة الدينية أو الاجتماعية أو السياسية .

فالانسان هو الذى يخلق القيم الخلقية ، باختياره الحر ، فالقوى الذاتية هى التى تلعب دورها فى خلق القيم الاخلاقية . وهذه القيم ليس لها تعليل منطقى واجتماعى ودينى ، الا من خلال حرية الشخص الذى اختارها ، وأنشأها على حسب ميولاته وعواطفه ، التى تحدد موقفه التاريخى ازاء ضميره فقط .

ومن هنا تصبح القيم الخلقية عند سارتر تبريرية ذاتية بالدرجة الاولى تتميز بالخلق والابداع ولا تخضع لاي معيار خارجى دينى ، فيقول : « ففى الاخلاق كما فى الفن تلعب القوى الخلاقة دورها الاول » .

3 - تقييم ومناقشة الاخلاق الوجودية :

رأينا فيما سبق كيف حل سارتر أصول الفكر الوجودى الذى أرجعه الى حرية الانسان المطلقة . الا أن هذه المقولة الحاسمة فى مذهبه ، تجعلنا لا نفرق بين الافعال الارادية والافعال اللاارادية والاشعورية ، ثم ان هذه الحرية ذاتية تبريرية تنطلق من مصالح الفرد ، ولا تعير أى اهتمام لمصلحة المجتمع ومعايره الاخلاقية .

أما الفكرة الاخلاقية القائلة بأن القيم الخلقية صادرة ونابعة من حرية الفرد فهي الاساس الوحيد لجميع القيم الاخلاقية ، تعد في نظرنا قضاء على القيم الاخلاقية لانها تكون تبريرية ازاء المواقف الانسانية . فالقيمة الاخلاقية يشترط أن تكون غاية في حد ذاتها ، كقيمة الصدق والعدالة ومصالحة الامة .

هذه القيم تبقى ثابتة رغم تبدل وتغير الوضعية التي يكون فيها الانسان . والواقع أن أفعال الانسان لا تخلو من القيم الاخلاقية التي تدفعه الى تجاوز مصالحه المادية في كثير من الاحيان وتاريخ البشرية شهيد على ذلك . ولولا التضحية بالنفس والنفيس ، لما وجدنا أى تغيير في المجتمع البشرى . فكم من ثورات قامت في المجتمعات البشرية ، بسبب اعطاء مفاهيم جديدة حول القيم الاخلاقية المطلقة ، التي ننشدها كالعدالة والمساواة ... الخ .

ومن هنا نقول : ان الانسان كائن عاقل في استطاعته أن يتجاوز مصالحه الذاتية ، ويتحرر من أنانيته .

ويحسن أن نذكر هنا ، أن الاخلاق الاسلامية بعيدة كل البعد عن الاخلاق الوجودية التي تترك الانسان يسترسل مع أهوائه بدون قيد ولا حساب ولا مسئولية — ولنتأمل قوله تعالى — : « وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى ((النجم : 39 - 40 - 41)) .

هكذا نلاحظ أن الاخلاق الاسلامية ، تؤكد على أن الانسان مسئول على نتائج أعماله عما فعل في الحياة ، وأنه مجزى في الآخرة ، وتجدر الإشارة هنا الى أن الاخلاق الوجودية تدعو الى الحرية الذاتية ، وعدم التقليد الفاسد الذى يقتل طموحات الفرد .

والواقع أن الاخلاق الاسلامية قد سبقت هذه المدرسة ، حيث دعت الى حرية الانسان ونبد العقيدة التى تفرض على الانسان . بل جعلت طريق الاسلام ، يعتمد على الايمان ، والاقناع ، والحجة المنطقية ، وأخيرا تترك للانسان العاقل حرية الاختيار . ولنتأمل قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » (البقرة : 256) .

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (البقرة : 170) .

وهكذا تصبح الاخلاق الوجودية هشة أمام جدارة الاخلاق الاسلامية ، فلا يمكن مقارنتها معها بأى حال من الاحوال . وأيا كان الامر . فان الفلسفة الوجودية تعد فى حقيقة أمرها كرد فعل للنزعة الشيوعية التى تريد أن تنزع حرية الفرد باسم الاشتراكية العلمية ، وبالتالي تقضى على طموحاته الذاتية .

خاتمة :

وبعد هذه الدراسة ، ما هي النتيجة النهائية التي نستخلصها منها ؟ نقول : ان هذه الدراسة وغيرها من الدراسات مهما ارتقت في دراسة وتحليل الاخلاق الاسلامية فسوف تبقى ناقصة ، نظرا لقصر وتقصير ادراكاتنا في فهم وادراك أسرار الاخلاق القرآنية التي عاجلت النفسية البشرية وطبيعتها ، وحررتها من التجارب البشرية ، والتقاليد الجاهلية القديمة والمعاصرة المتمثلة في التيارات الايديولوجية الحالية المنحرفة عن الطريق القويم الصحيح المتمثل في كتاب الله القائل : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين » (الاسراء : 9) .

« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » (الزمر : 27) .

ومن هنا كان القرآن الكريم هو المصدر الاول والاسمى في الاخلاق الاسلامية ، أما المصدر الثانى فى أخلاقنا الاسلامية فهو سيرة الرسول الكريم الذى قال فى شأنها : « أدبنى ربي فأحسن تأديبي » ، وحين سئلت عائشة رضى الله عنها ، عن خلق الرسول - ص - فقالت : كان خلقه القرآن .

وفى ضوء هذا لا بد أن نؤكد ، أن الاخلاق الاسلامية كلها سلوك وعمل قائمة على الاسلام والنية الطيبة ، والعاطفة النبيلة ، والعقل ، فالاخلاق الاسلامية لم تجهل دور العقل

فى المجال الاخلاقى ، فلقد خاطبت العقل البشرى ، وفرضت عليه الالزامات الخلقية ، وضرورتها العقلية ، بدليل قول الرسول الكريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » رواه البخارى .

فهذه القاعدة العقلية الكلية ، قد سبقت الاخلاق الكانطية التى تركز على الواجب العقلى القائم على قاعدة التعميم التى تنص على ما يلى :

اعمل دائما بحيث يكون فى استطاعتك أن تجعل من فعلك قانونا كليا للانسانية . وعلى أى حال ، فقد قمنا بتحليل ونقد أسس المذاهب الاخلاقية المعاصرة : الشيوعية – البراجماتية – الوجودية بالمنظور الاسلامى الخالص ، معتمدين على النقد الموضوعى ، والبراهين العقلية ، حيث بسطنا آراء هذه المذاهب الاخلاقية من خلال مصادرها المباشرة ليكون السند واضحا أمام القارئ ، ثم استشهدنا بالآيات القرآنية ، والحديث الشريف ، عندما يقتضى الامر فى مكانه ، حتى لا يقول علينا .

وأخيرا بينا رأى الاسلام الاصيل فى مشكلة القيم الخلقية التى طرحت من قبل هذه المذاهب الاخلاقية الداعية أنها جاءت لانقاذ البشرية من مشاكلها . الا أن قيمها الاخلاقية لا تقوم على أساس سليم كما رأينا ، بحيث اكتشفنا أن هناك فجوات وتناقضات واضحة فى قيم اخلاقها .

فلا بد اذن من الرجوع الى المصدر الالهى الخالى من كل الصفات السلبية والحلول المؤقتة - ونعنى مرة أخرى بهذه - الاخلاق القرآنية التى استطاعت أن تحل المتناقضات الانسانية وانشطاراتها فى مسيرة حضارتها .

والى هنا نقول : لا سبيل الى النجاة الانسانية الا بالاستعصام والاستمسك بالقيم الاخلاقية القرآنية وفى ذلك يقول الله عز وجل : « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » (لقمان : 22) .

وأخيرا نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا من أهل الاسلام فى القول والعمل ، انه نعم المولى ونعم النصير والمجيب .

غارداية : يوم الخميس 30 شعبان 1404 هـ

الموافق لـ : 31 ماى 1984 م

الاستاذ بكير بن سعيد أعوش

أهم مراجع الكتاب

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن - لمحمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة الشعب ، القاهرة .
- 3 - أخلاقهم وأخلاقنا - لتروتسكى وجون ديوى - ترجمة سمير عبده . دار دمشق .
- 4 - أدب الحديث النبوى - لبكرى شيخ أمين - دار الشرق ، لبنان .
- 5 - احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى - مكتبة المشهد الحسينى ، القاهرة .
- 6 - الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية - لابى الاعلى المودودى - دار الفكر ، بيروت .
- 7 - البراجماتية - لوليام جيمس - ترجمة محمد على العريان ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- 8 - الجديد فى الفلسفة - لجون ديوى - ترجمة أمين مرسى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- 9 - دستور الاخلاق فى القرآن - لمحمد عبد الله دراز - مؤسسة الرسالة بيروت .
- 10 - شبهات التغريب - لانور الجندى - المكتب الاسلامى ، بيروت .

- 11 - القرآن ومذهب داروين - بكير بن سعيد أعوش - دار البعث
قسطنطينة *
- 12 - موسوعة أخلاق القرآن - لاهم الشرباصي - دار الرائد العربي ،
بيروت *
- 13 - منهاج الصالحين - لعز الدين بليق - دار الفتح ، بيروت *
- 14 - المعجم الفلسفي - لميل صليب - دار الكتاب اللبناني ، بيروت *
- 15 - المادية التاريخية - لكيلى وكوفالزون - ترجمة أحمد داود ، دار
الجمهورية - دمشق *
- 16 - نقض أوهام المادية الجدلية - لرمضان البوطي - دار الفكر ، دمشق *
- 17 - ماركسية القرن العشرين - للغارودي - ترجمة نزهة الحكيم ،
دار الآداب ، بيروت *
- 18 - الموسوعة الفلسفية السوفياتية - دار الطليعة - بيروت *
- 19 - هل نحن مسلمون ؟ - لمحمد قطب - الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة *
- 20 - الوجودية مذهب انساني - لسارتر - ترجمة كمال الحاج ، دار
مكتبة الحياة ، بيروت *
- 21 - وليام جيمس - لمحمود زيدان - دار المعارف ، القاهرة *

الفهرس

9

— المدخل العام الى البحث

الفصل الاول

الاخلاق الاسلامية ، مصادرها وأسسها

17

أ — المدخل الى علم الاخلاق

17

1 — موضوع علم الاخلاق

18

2 — مدلول الاخلاق لغة واصطلاحاً

18

أ) الاخلاق لغة

19

ب) الاخلاق اصطلاحاً

20

3 — الغاية من دراسة علم الاخلاق

21

ب — الاخلاق في القرآن والسنة

21

1 — اخلاق القرآن الكريم

23

2 — القرآن والارادة الخلقية

25

3 — أخلاق الرسول (صلى الله عليه وسلم)

26

4 — انوحى مصدر الاخلاق الاسلامية

28

5 — الاخلاق الاسلامية تعكس فطرة الانسان

31

6 — لا تبديل فى أصول الاخلاق الاسلامية

33 ج - أسس الاخلاق الاسلامية

35 1 - الايمان

37 2 - الاسلام

40 3 - التقوى

43 4 - الاحسان

49 د - الاخلاق الاسلامية والنية

49 1 - ارادة الانسان شرط ضرورى للعمل الخلقى

50 2 - النية لغة واصطلاحا

52 3 - لا عمل أخلاقى بدون نية

53 4 - النية بدون عمل

57 5 - علاقة النية بالعمل

58 6 - النية الطيبة مصدر الاخلاق الاسلامية

61 7 - خلاصة الفكرة

الفصل الثانى

الاخلاق فى المذاهب المعاصرة

67 المقدمة

68 أ - الاخلاق الشيوعية

68 1 - أسس الفلسفة الماركسية

70	2 - الاخلاق فى المذهب الماركسى
72	3 - المبادئ الاساسية للاخلاق الشيوعية
73	4 - تقييم ومناقشة الاخلاق الشيوعية
85	ب - الاخلاق البراجماتية - الامريكية
87	1 - أسس المذهب البراجماتى
89	2 - الاخلاق فى المذهب البراجماتى
92	3 - تقييم ومناقشة الاخلاق البراجماتية
96	ج - الاخلاق الوجودية
96	1 - أسس الفلسفة الوجودية
98	2 - الاخلاق الوجودية
99	3 - تقييم ومناقشة الاخلاق الوجودية
102	الخاتمة
105	مصادر الكتاب

طبع بمطابع
« دار البعث »
قسنطينة - الجزائر
1405 هـ - 1984 م

C+6
V4446
3500

- هذا الكتاب -

يتضمن هذا الكتاب دراسة تحليلية ، لاسس الاخلاق الاسلامية والمعاصرة ، حيث عالج مقولات الاخلاق المعاصرة ، بالمنظور الاسلامي الخالص ، معتمدا على الموضوعية العلمية التي تتطلب ابراز آراء هذه المذاهب الاخلاقية من خلال أصول مصادرها المباشرة ، لتكون الرؤية واضحة أمام القارئ

وأخيرا ، بين البحث رأى الاسلام الواضح فى هذه القيم الاخلاقية التى أثارته هذه المدارس المعاصرة حول ماهية أخلاقها التى لا تزال عاجزة أن تقدم الجواب الحاسم لمشاكلها .

وفى ضوء هذا ، فان صاحب الكتاب قدم أدلة عقلية وتاريخية ، على أن الانشطارية التى تعيشها الانسانية ما هى الا دليل آخر على تهافت المذاهب الاخلاقية أمام عظمة أخلاق القرآن الكريم .